أحمد جابر

السيّد أزرق في السينما

AHMAD JABER

أحمد جابر

السيد أزرق في السينما

الأهليّة للنشر والتوزيع
e-mail: alahlia@nets.jo
الفرع الأوّل (التوزيع)
المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، وسط البلد، بناية 12
هاتف 4638688 6 00962، فاكس 4657445 6 00962
ص. ب: 7855 عمّان 11118، الأردنّ
: AlAhliaBookstore
: alahlia_bookstore
الفرع الثاني (المكتبة)
عمّان، وسط البلد، شارع الملك حسين، بناية 34

◆

مؤسسة عبد المحسن القطان
A M QATTAN FOUNDATION
22 شارع الجهاد، الماصيون، رام الله، فلسطين
هاتف 2984886 2 00970 فاكس 2960544 2 00970
Tower House, 226 Cromwell Road SW 5 OSW
Tel 0044 207 370 9990 Fax 0044 207 370 1606
www.qattanfoundation.org cap@qattanfoundation.org

◆

السيد أزرق في السينما/ قصص
أحمد جابر / فلسطين

◆

الطبعة العربية الأولى، 2018
حقوق الطبع محفوظة

◆

تصميم الغلاف: **زهير أبو شايب**، عمان، هاتف 95297109 7 00962
®
لوحة الغلاف: **كامل قلالوة** / الأردن

◆

All rights reserved*.No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the publisher.*

جميع الحقوق محفوظة*، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه، بأيّ شكل من الأشكال، إلا بإذن خطّيّ مسبق من الناشر.*

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية: (/ /)
الترقيم الدولي: - - ISBN 978-9957-

قصص

السيد أزرق في السينما

أحمد جابر

المحتويات

كافكا يعبر بوابة العالم الآخر 11

فتاة تعيد خلق نفسها 15

نقصان 17

لا أكرهك 21

لوحة خالدة 25

بيت العجزة 27

الكاتب »ك« 29

ظلال 31

رصاصة 33

عقاب 35

مكارثي 37

طريق بلا قدر 41

نساء 43

تطنيش 45

البحر الأسود المتوسط 47
عزلة 49
بالمقلوب 51
الحنين إلى إسبانيا 53
مريض 55
الشيطان 59
مسافة إلى الماضي 61
الشباك الخامس 63
عيد ميلاد 67
فيوليت 69
فلسفة حياة 71
تاريخ ينتصر 75
مصنع البشر 77
بانوراما 81
طابع بريدي 83
كواليس 85
فيلم 87
سينما 89
مستقبل 91
فاوستو 95
ييغ يانغ 99

مخطوطة 101
جريدة 103
وحيد 105
نبض 107
باب القيامة 109
ذهب مع الريح 111
كذبت جدّتي عندما قالت: الدم لا يصير ماء 113
عزلة ليلية 115
في السينما 119
جريمة 121
مستر كاتب 125
جميلة 129
لحظة مفصلية 131
قابيل 133
رجل الثلج 135
لا ضوء 137

الإهداء

إلى أمي

«مهديّة»

معلّمتي في الحب، العطاء، الحنان، في كل معاني
الحياة الجميلة

أمي، هديّة السماء لي

كافكا يعبر بوابة العالم الآخر

أووه، لقد نجحتَ في الخروج، إنك تعود إلى حيث كنت، لستَ بحاجة لإخفاء وجهك فلا أحد ممن يعرفونك ما زال حياً، لقد التقيت بهم جميعاً هناك، في عالم الأموات، يا لحظك يا رجل، ها أنت تعود وحدك، من بين كل من ماتوا لم ينجح أحدٌ في الهروب سواك. امشِ في شوارعك الماضية، إنها روائح جديدة، لكنها تحمل أشياء مما سبق، هنا كنتَ يوم وقعتَ، وهناك كنتَ يوم اختبأت في هروبك، هيه يا رجل، لماذا تنظر هذه السيدة إليك هكذا؟ لا تعرفها، ولكنها نظرة متفحصة للتأكد من كونك شخصاً تعرفه هي، إنها تبلغ من العمر أربعين تقريباً، ومنطقياً هي لم تعش في فترتك قبل موتك، إنها تقترب منك، حاول تجنبها، اهرب فوراً، نعم اهرب، واختبئ هناك.

لقد رحلتْ، هيا اخرج، امش على مهلك، أنت متأكد من أنه لا يعرفك أحد، لقد أوصيت بحرق مؤلفاتك كلها، مات كل ما كتبته معك، اختفت أسرارك بانتهائك من حياتك الأولى، وهذا يعني أن صورتك أيضاً قد تلاشت من ذاكرات البشر، جيلك مات، وجيلٌ من بعده مات أيضاً، أنت في أمان، لكن لسببٍ ما يخبرك

به حدسك، عليك أن تأخذ احتياطك. هيّا يا كافكا، فلتذهب إلى المكتبة، مكانك المفضل، اذهب واسترجع أصدقاءك القدامى، وفتّش عن جديد هذا العالم، تناول أي كتاب، اشتمّه، اشتمّه أكثر، دع الرائحة تملؤك، خذ شهيقاً، واحبسه داخلك، لقد اشتقت كثيراً لمثل هذه الرائحة، صحيح أنها صارت أخف، وملمس الكتب صار أنعم، لكنها ما تزال تحتفظ بشيء مما سبق، انظر إلى اليمين، هناك كتابٌ عتيق، امسكه، بلطفٍ يا رجل، أنت مثيرٌ للضحك، لكنَّ أحداً لا يلومك، قبّله واحضنه، هل هذه دموع؟ ما أشدّ هيبة الكتب أمام قارئٍ حُرم منها، إنها تعيده طفلاً.

أمامك حسب الترتيب، دوستويفسكي، ديكنز، فلوبير، هيسه، ويبدو أن هذا المدعو غراس له حظوظ جيدة، لم تقرأ له، لقد ولد بعد وفاتك، دعه على القائمة، سيأتيه وقته، هناك في الجناح الآخر من المفروض أن تلتقي بتوماس مان، ستندال، ستريدنبرغ، تولستوي. هيا انطلق إليهم، (تتعثّر) لا يهم، لا يهم، انهض من تعثرك هذا، لا تستطيع، ها هو صاحب المكتبة قادمٌ نحوك ليساعدك، يمسك ذراعك، ثم يقول: «سيدي، خذ حذرك، لن تهرب الكتب، يبدو أنك تحب الطراز القديم في الملابس، هل تريد أن أساعدك؟» «لا تصرخ يا هذا، لا تصرخ» «كافكا؟» «لا لا لست هو، لقد مات، ربما أشبهه لكنني لست هو، هل تسمح لي بالمرور إلى الجناح الآخر؟» إنه لذعرٌ كبير أن ترى عينيْ أحدٍ ما تتفحصانك، تتنقلان في معالم وجهك، هذا الوجه الذي تخاف أن تنظر إليه كل صباح، خوفاً من أي تغير طفيف، هذه الملامح التي تجبر على مرافقتها طوال اليوم. حسناً، هذا لا يهم كثيراً، لقد وصلتَ، حرف الـ M، إنه توماس مان، ثم يخطر في بالك أنه من الممكن أن تتواجد بعض مؤلفاتك

الصبيانية الأولى، لكنك تنفي هذا، من أنت ليكون اسمك على رفوف مكتبة؟ أنت لا شيء، محض إنسان كان، حاول أن يكتب، وصفق له بعض الناس، لقد كانوا حمقى، حاولت أن تصدّق أنك كاتب، لكنك أمام نفسك كنت تعي أنه لا يزال أمامك الكثير، إذا احتفظت المكتبة بشيء لك، من المفروض أن يكون هناك في آخر خزانة تقرأ فرانتس كافكا، وبجانبه أكثر من خمسة عشر كتاباً للاسم نفسه، فرانتس كافكا يتكرر أمامك، تفرك عينيك، ثم تمسك الكتب كمجنون، تقرأ العناوين: التحول، المحاكمة، سور الصين العظيم، في مستوطنة العقاب، رسالة إلى الوالد، الوقاد، رسائلك إلى ميلينا، لا تصدّق، تفتح الكتب، تقرأ، وتقرأ، هذه حروفك، هذه كلماتك، هذا أنت قبل موتك، تنظر إلى آخر الممر، تلاحظ أن صاحب المكتبة يحدّق بك، وهذه المرة تحدق به أنت، تود أن تسأله: هل ما تراه حقيقة أم وهم؟ هل عدت إلى زمنك الحقيقي؟ هل متَّ قبل الآن أم حدث أمر لم تحسبه؟ تقفز إلى الصفحات الأخيرة من الكتب، هناك أشياء ناقصة، هذه ليست النهايات التي أردت أن تقف عندها، هناك تكملات لم تكتبها بعد، ترمي الكتب، وتسرع بالخروج من المكتبة، يحاول صاحبها أن يصدّك، لكنك ترميه بعيداً، وتركض بحثاً عن مكتبة أخرى، وبعد عناء، تجد أن هناك الكثير من نسخ كتبك واسعة الانتشار، يصيبك صداع، أنت مصاب بالسل يا رجل، ليس عليك أن ترهق نفسك هكذا، لم يحدث شيء يستحق، بلى حدث يا رجل، تخيل وجود قراء كثيرين لك، يمسكون كتبك ويسهرون معها لياليهم، ثم عندما ينتهون منها يلعنونك، يشتمونك، ويتمنون أنهم لم يقرأوا لك، صار اسمك مقترناً بصفة التفاهة، كان يجب عليك أن تقوم بحرق كتبك بنفسك،

اعتمدت على صديقك ماكس، ويبدو أنه لم يقم بما أوصيت به، خانك صديقك، كنت طوال الوقت لا تأتمن أي بشريّ، أنت تركن إلى شجرة، تجلس مفكراً بالمصيبة حولك، حاول أن تختفي مرة أخرى، مت، أسرع بالموت، ما فادك هروبك من عالم الأموات إلا أن ترى فداحة ما فعلت يداك. أنت تجر نفسك متعباً، تحمل وزر ما كتبتَ، تقف أمام قبرك، تقرأ: يرقد بسلام، فرانتس كافكا، تهز برأسك موافقاً، إنه سلام كامل، ترمي بنفسك في الحفرة، ثم تغفو.

فتاة تعيد خلق نفسها

ستة أيام من الاستعداد، وحانت اللحظة لتمضي بما نوَت، تصعد إلى غرفة طقوسها الخاصة، تخطو المسافة حتى النافذة، وتزيح الستارة السوداء لينتشر الضوء في المكان، تعطسُ مرتين، ثم تأخذ نفساً عميقاً وتخرجه مشكّلة على وجهها ابتسامةً لا يفهم معناها إلا هيَ. تعدّل من وضعيّة الكرسيّ القديم، ثم تجلس مقابل اللوحة البيضاء.

الشاشة تظهر باللونين الأبيض والأسـود، ستة أيام من الاستعداد، حيث تقف أمام ثلاث مرايا عن يمينها وشمالها وأمامها، تمضي كل يوم ساعتين كاملتين في تأمل وجهها، محاولة حفظ تفاصيل هذا الوجه الصغير، ثم تقضي خمس عشرة دقيقة في تحسّس ما يحتويه من أعضاء، كأن يدها ورقة تنسخ عليها ما ستنقله على اللوحة.

الشاشة تظهر بألوانها المعتادة، تأتي بقطعة قماش سوداء كانت قد قصّتها من الستارة لهذا الأمر، تلفّها على عينيها لكي لا ترى ما ترسمه إلا بعد الانتهاء تماماً، ثم تمسك قلمها المفضّل، وتحاول استحضار وجهها المخزّن في ذاكرتها، وتشرع في نقله من دماغها

إلى يدها.

الشاشة تظهر باللونين الأبيض والأسود، يوم قرأت كتاباً بعنوان »You«، حيث وردت فيه الجملة التالية»: الخطوة الأولى لتعرف الإله، هي أن تعرف ما أعطاك إياه»، وهكذا قررت أن تستخرج كنوز الله فيها، ولم تجد بداية أفضل من أن تعيد خلق نفسها، فترسم وجهها كما هو مرسوم في الذاكرة القديمة.

الشاشة تظهر بالألوان المعتادة، يظهر لنا أن الفتاة ما تزال ترسم، نرى يدها اليمنى تتحرك قليلاً، ولا يتاح لنا أن نرى أكثر لأن مخرج الفيلم قد وضع الكاميرا خلف الفتاة بشكل متعامد على ظهرها واللوحة.

بعد ساعتين ونصف، لا تزال الفتاة على وضعيتها، فيضطر المخرج إلى رفع صوتها الداخلي حتى نسمعه، فنجدها تقول: «نسيت أن أعدّ رموشي، وأخاف أن أعصي الله بأن أشوّه صورته فيّ».

نقصان

أمشي منكفئاً عمّن حولي، لوني مائل إلى الاصفرار بعد ما حلّ بي من هلعٍ، أغذّ في السير عامداً وصولاً سريعاً إلى البيت، إلى غرفتي، مأواي وملجأي وأسراري الليلية، لكنّ الطريق يطول، كأنه يركض أمامي. أدقّ الوصف لحالتي هو أنني أهربُ من أي كائن بشريّ، يا إلهي، هناك أحدٌ ما قادمٌ نحوي، أبحث بعينيّ عن مكان للاختباء، ولا أجد. إنه يقترب أكثر فأكثر، وأنا بدوري، أركض متجاوزاً بسرعة لكي لا أسمح لأي التقاءٍ بيننا أن يحصل. لماذا؟ إليكم ما حدث منذ ساعتين حتى الآن..

كنتُ مغادراً عملي، وإذ بطفلٍ بهيّ أسود العينين يبتسم لي من على كتف أمّه، والتي كانت تتحدث مع بائع الخضار، انتهزت الفرصة لألاعبه قليلاً، اصطنعت حركات بوجهي ليضحك، ونجحت، صحيح أنني بدوت كأبله، لكن روح الطفل المرحة تضفي سروراً في القلب، ما شجّعني على الاقتراب منه ومداعبة شعره، ثم بدأت كوابيس اليوم بعدها، ما إن أبعدت يدي عن رأسه حتى وجدت فيها خصلةً من شعره ملتصقةً بها! ارتبكت قليلاً، لا والله كثيراً، فالطفل بدأ بالنشيج، هذه المرحلة ما قبل البكاء أو

الانفجار، نظرت إلى رأسه وهممت بالصراخ إلا أنني تمالكت نفسي ثم هربت بأسرع ما يمكنني قبل أن تكتشف أمه أنني المسؤول عن ذلك الفراغ المخيف في شعره، ابتعدت عن المكان وما زلت أشعر أن الفراغ يكبر ويكبر ويحيط بي، وبعد أن تأكدت من اختفائي عنهما وقفت لأستعيد أنفاسي، ثم حاولت أن أنتزع شعر الطفل من رأسي، إلا أنه كان ملتصقاً أشد الالتصاق، علمت وقتها أنني سأجد صعوبة كبرى في حل هذه المشكلة، سأحاول تخبئته عن مرأى الناس، لحسن حظي أن لون الشعر شبيه بلون إياي.

بعد نصف ساعةٍ تقريباً، وبينما أتجوّل في ساحة المدينة الأثرية، لفت انتباهي تمثال يعود في أصله إلى أواسط القرن الخامس عشر، إنها نسخة مقلدة عن تمثال لوبا كابيتولينا، تمثال الذئب المترقب لأي خطر وأسفل منه طفلان يمدان أيديهما وثغريهما يرضعان منه، التوأمان المؤسسان لروما، هذا كله لا يهمّ، لكن فضولي اللعين قادني لأمسك يد رومولوس، أحد الطفلين. أسمع توقعاتكم، إنها في محلها تماماً، صار في يدي يد أخرى تصافحها، كان فزعي أقلّ من المرة الأولى، لكنني كنت مرتبكاً من أن يلحظني أحد السيّاح أو الشرطة المنتشرين، انسحبت شيئاً فشيئاً من المكان، واندسست بين المارة الكثيرين، حتى صاحت بي إحداهنّ منادية عليّ، وبحركة لا إراديةٍ هربتُ ودفعت عجوزاً كانت تسدّ طريقي، لم أقصد حصول ذلك، لكنني كنت مجبراً على الهرب، والأسوأ أن الصوت لاحقني، كنت متعباً جداً، أشرت لسيارة أجرة فركبت، ولكم أن تتخيّلوا صعوبة فتحي للباب بيدي اليسرى، بما أن يدي اليمنى مشغولة بالتصافح مع يد التمثال.

الصوت! الصوت هنا، لقد أدركني، أطلب من السائق زيادة السرعة، لكن الصوت على ما هو عليه، ثم اختفى، هكذا دون سابق إنذار، ارتحت، ثم قلت للسائق أنزلني هنا، حدّق بي وأنا بدوري سكنتُ، قال لي السائق: تحدّث مرة أخرى. تصببت عرقاً، بلعت ريقي، ثم قلت له:« مرحباً»، وصرخت! يا إلهي، إنه الصوت الذي لاحقني، تغيّر صوتي وأصبح هوَ، صوت امرأة. جفل السائق، ورأيت عروق دمه تكاد تخرجُ بعد أن لاحظ يد التمثال في يدي، دبّ الرعب بي، نزلت من السيارة وهربت مرة أخرى.

أتجاوز الرجل الذي مرّ من جانبي قبل أن أسرد لكم قصّتي، أصل البيت على قدمٍ واحدةٍ، أقف أمام المرآة، وكما توقعتُ، لقد أخذت من عيني السائق اخضرارهما، ومن العجوز سنّها الذهبية، ومن الرجل الأخير، عرجه الذي تبيّن لي بعد عشرة أمتار خلفه. أيها الله، إنني أسحب أمنيتي الليلة الماضية، أرجوك لا تستجب أكثر، إنني أحسب الأمر مزاحاً ثقيلاً منك، أعدني كما كنتُ، إنني أرغب بالبقاء كما أنا، بكامل صفاتي، أنا المكتمل في عين الإله، عين الكون، ولو قالت لي إحداهنّ: ناقصٌ أنتَ.

لا أكرهك

دُفع إلى داخل السجن، ثم أغلق الباب عليه. أول ما كان من أمره أن تفحص المكان، ضوء واحد يعبر النافذة لا يتيح للناظر أن يتمكن من الرؤية إلى الزوايا الأربع، وصوت أحدهم يسأل: من أنت؟ لم يردّ عليه، بقي صامتاً ساكناً، بلا كلام ولا حركة، وعندما أفاق من لا وعيه، قال: أنت! من أنت؟ سمع شخصاً يتحرك عن يمينه، تلفّت إليه ثم مشى إلى اليسار نحو الضوء، هكذا صار مرئياً للشخص المجهول، وبقي الأخير غير معلوم الملامح.

المجهول من العتمة يقول: هذا هو أنت إذن، ممم، غير مخيف. حسناً، اسمي دارسيو، ومدّ يده التي ظهرت في الضوء أمام رفيقه الجديد. تمعّنها عن قرب ثم مدّ يده وتصافحا، خشنة وفيها ندبة على ظاهر الكف. انفكّت اليدان، ثم دخلا في جو صامتٍ لم يكسر طوال عشر دقائق، ثم..

اسمي إيلي، قال الجديد.

لماذا تكلّمت بسرعة هكذا؟ قال دارسيو.

لا، لم أقصد، أنا، إيلي.

نعم نعم سمعتك من المرة الأولى، قال دارسيو.

إيلي: لماذا سجنوك؟

دارسيو: لا يهمّ، ولا تسأل هذا السؤال لسجين أبداً.

إيلي: كما تريد. (ثم صمت آخر).

بعد سبع دقائق، قال دارسيو: إيلي، كيف يتهيأ لك شكلي؟ ممم، لا أدري. حاول حاول، صف لي شكلي حسب ما تسمع، لا أبعد عنك أكثر من مترين، حاول.

إيلي: صوتك قاسٍ، وفيه بحة، لكنّ السجن له رأيه، ربّما غيّرك، ربّما لم تكن هكذا من قبل. لك لحية شعثاء، ممم، أصلع، لك سنّ مكسور، ندبة في أحد خدّيك.

يضحك دارسيو، يضحك طويلاً، ويرى تغيّر ملامح وجه إيلي بشكل غريب، ليزيد ضحكه. يحاول التوقف، يفشل، ثم يتمكّن من تهدئة نفسه، فيخاطب إيلي: لم أتوقع هذا الوصف، يبدو أن يدي كانت فاشلة في أن تكمل أعضائي، ثم يسكت قليلاً ويقول: بعد ساعة من الآن، سأخرج من هذه الغرفة، أخبروني بهذا البارحة، سيتركونك وحدك.

يمر الوقت بطيئاً على كليهما، الباب يفتح، ينادى على دارسيو، يقف ثم يمشي على مهل. إيلي، يضع رأسه بين قدميه ويديه يشد بهما شعره. يقول دارسيو: هيه إيلي، أنا أمامك، مرئي بكاملي، ألا تريد أن تراني؟ يردّ إيلي: لا، لا يهمّني، لكن قبل أن تغادر، هناك أمر واحد أريد أن أخبرك به، أنا، أنا لا أشعر بأي ضغينة تجاهك، لا أعلم، ربّما أحبك، لكن بالتأكيد، لا أكرهك.

يبقى إيلي في المكان، دارسيو يدخل حمّاماً ليغتسل، يقف أمام مرآة، يصرخ، كيف رآني؟ لم أعلم أنني تغيّرت حدّ الاختلاف

عما كنتُ سابقاً، واه، لم أرَ نفسي طيلة عامين، إنني شخص آخر، لست أنا، ربّما، ربّما كنت هوَ، ربما أكون إيلي.

الكاميرا، تصوّر إيلي، إنه ساكن، مبتسم. عجلة الزمن تدور، ينتهي عامان آخران، يخرج إيلي من السجن، يقدّم إليه الضابط مرآة، يكسرها قبل أن يرى وجهه، يصرخ: لقد رأيت نفسي فيما مضى، أنا أشبه دارسيو، ربما كنتُ هو.

لوحة خالدة

ألن تعترف إذن؟ سأل العمدةُ بطريقة لا ينتظر فيها إجابة. نفث دخان آخر ما بقي من سيجارته، ونظر إلى ساعة يده الذهبية، أدرك أنه أمضى أكثر من ساعتين ونصف في محاولاته أن يجعل من فنّان المدينة يخبره في أي مكان يخبئ لوحته الأخيرة، اللوحة التي اعتزل الفنّانُ الناسَ سنةً ليرسمها، اللوحة التي إن حصل عليها العمدة، سيكون من أغنى أغنياء البلاد.

قاد الحرس الفنّان إلى السجن، بعد أن أمرهم العمدة أن يظلّوا يجلدونه حتى يعترف. ثم جلس على كرسيّه، وأعاد شريط اليومين الأخيرين .كان قد ذهب مع رئيس الشرطة وفتّشا بنفسيهما كل أرجاء بيت الفنّان، وجدا الكثير من المرايا المحطمة، واللوحات السليمة أو المكسورة، لكنّهما لم يأخذا أي واحدة، فكل ما أمامهما قديم شاهده النّاس قبلهما في معارض الفنّان الشهرية. ثم دخلا إلى قبو البيت، ولم يفلحا في الحصول على اللوحة الجديدة، لأن القبو كان شبه فارغ، إلا من مجموعة فئران، وألواح خشب.

عرض على الفنّان شراء لوحته بالسعر الذي يرغب به، وأن يضع من الأصفار التي تجعل من المبلغ يقفز ما يريد، لكنّ الرفض

كان الجواب الوحيد، ولم يجد سبباً مقنعاً لهذا الرفض، حتى بعد أن أخبره الفنّان أن هذه اللوحة هي هوَ، وإن عرضها على أحد سيخسر نفسه. لم يقتنع العمدة بهذا الكلام العابث، إلى أن نفد صبره في اليوم التالي، وظلّ يصفعه ويضربه أينما استطاع، على رأسه، على بطنه، وعلى رجليه، أو بحرق وجهه بما تبقى من سجائره.

بلغ غضب العمدة ذروته بعد أن أخبره رئيس السجن أن الفنّان ظلّ يضحك ولم يعترف بشيء، فأعلن للنّاس أن الفنّان قد اخترق قوانين البلاد، وأن موعد إعدامه سيكون عصر يوم غدٍ، وأن على الجميع أن يحضر، ومن يتغيّب سيلقى عقاباً شديداً.

العمدة، يصعد منصة الإعدام، ينظر بلا شفقة إلى الفنّان، يقترب منه ويقول له بصوت خفيض: ستموت بعد قليل أيها الوغد، إذا أخبرتني في أي مكان تخبئ اللوحةَ سأعفو عنك، صدّقني. يضحك الفنّان، حتى سمعه كل من في الساحة، ما أثار انفعال العمدة، فقبض على مقدمة شعره، وبصق في عينيه. ثم استدار ومشى خطوتين قبل أن يتكلم الفنان جاعلاً إياه يقف متسمراً، قال: العمدة لا يستطيع إعطاء حكم بالإعدام فهذه ليست من صلاحياته، الفنّ لا يموت يا سيّدي، وأيضاً، لن تستطيع أن تأخذ اللوحة أيها العمدة، لأن الجلّاد الغبيّ أتلفها بسوطه.

بيت العجزة

سألتُ طفلاً عن مكان بيت العجزة، قال: من هنا، وأشار إلى حقل شوكٍ، ثم أضاف بعدما رأى تعجّبي: كان طريق هنا من قبل، هكذا قال جدي. في منتصف المسافة، قالت اللافتة: أهلاً وسهلاً بالزوّار، لكنّني أعلم تماماً أنها كانت تجامل لا أكثر، لو كانت صادقة، لما رأيت كل هذا الصدأ.

الكاتب «ك»

بداية:

«أتخيل فتاةً تتجه نحو سكة القطار، تخلع عنها ملابسها ثم تقف في مواجهة القطار القادم. الفتاة وقد قررت تجربة كبرى مغامراتها، الانتقال إلى العالم الآخر، فتكتشف بنفسها ماهيّته، ذلك العالم الذي لا يعرف عنه أحد شيئاً، لأن من وصلوه لم يرجعوا، وهذا يحتمل برأيها احتمالين، الأول: أن الحياة هناك فائقة الروعة، حيث يعيش البشر بسلام، متخلّين عن تعصباتهم، والثاني: أنهم محبوسون ولم يستطع أحدٌ منهم فكّ لغز العودة حتى الآن. وفي كليهما تجد ميورتي العالم الآخرَ جديراً بالسفر إليه.

حسناً، هنا سيأتي دوري، دور الكاتب الذي يمارس بشكل أو آخر لعبته في الخلق أو نزع الروح، حيث أحاول جاهداً في كل قصصي أن أترك الشخصيات تمشي كيفما شاءت، وتختار ما تريده، فيكون دوري هو أن أجعل هذه الشخصية حيّة، أو أن أميتها، لذا تكون البداية والنهاية لي، وما تبقىّ من قصر أو طول، هو للشخصية، قدر استطاعتي.

ميورتي، ما تزال على قيد الحياة، القطار يتقدم نحوها بسرعة تتجاوز السبعين ميلاً في الساعة، وهي واقفةٌ بين خطين من حديد،

تنتظر أن تحدث لحظة التصادم، أو بمعنى آخر، لحظة العبور. تتخيل نفسها مقطعةً إلى أشلاء، وكل جزءٍ منها في مكان، لكنّها لن تتوجع إلا مرة واحدة، ثم برأيها ستعيش في المكان الآخر، بجسد جديد، غير مهترئ، ولا تخجل من أن تكشفه أمام أحد وقتها. تنظر إلى جسدها المليء بالكدمات، وتستعيد ذاكرة طويلة من حياة البؤس والشقاء مع عمّها الذي لم يرحمها ولا أمها، فصارتا بين ليلة وضحاها عبدتين له، جاريتين، وبجسدين مستباحين متى شاء، وهي التي لم تكن تتوقع أن تفقد عذريتها إلا في حضن صديقها.

بإمكاني الآن، أن أسبب خللاً في القطار فأجعله يتوقف على بعد مئتيْ متر من ميورتي، بإمكاني أن أكتبَ أن ميورتي، تذكرت ومضاتٍ من حياتها الهانئة مع صديقها، وأجعلها تنزاح عن فكرتها، بإمكاني أن أجعل سائق القطار ينتبه إلى وجود جسم فيوقف القطار قبل أن يصدمه، لكنّني سأترك ميورتي والقطار يتجهان نحو ما تريده الطبيعة، دون تدخل منّي، رغم أن النهاية تبدو أمام الجميع مأساوية.

القطار، على بعد خمسين متراً، مسافة غير ممكنة للتوقف، حتى بعد أن انتبه السائق. ميورتي، تغمض عينيها، وتنتظر مرور آخر ثانية لتنزع عنها جسداً خجلت منه طويلاً، وتترفع إلى صورة ملاكٍ مكتمل الصفات. لا بطل هنا ينقذ البطلة في آخر لحظة، ولا معجزة سينمائية تحدث. القطار يصدم ميورتي، وتموت، هكذا بكل بساطة، وسواد».

النهاية.

ثم أطفأ الكاتب ك مصباحه، ونام مطمئنَّ البال، بأنه استطاع أن ينهي القصة دون تدخل من أحد.

ظلال

لم يتوقع أومبريه أنه سيخرج من محل الخردة بهذا الكنز، فقد دخله مستطلعاً لا أكثر، إلا أنه لم يتوانَ في دفع ثمن نظارة غريبة تتيح لمن يلبسها فرصة التعرف على ما يفكر به من حوله، ولكن الأمر يتطلب ضوءاً، إذ يتشكل ما يفكرون به في ظلالهم.

بلا نظارة، يرى الظل على ما هو عليه، متشكلاً كصاحبه، من رأسه حتى قدميه، لكنْ ما إن ينظر خلالَها حتى يرى ظلال الآخرين بأشكال مختلفة، رأى رجلاً بظل امرأة، طفلة بظل دمية، عصا بظل عجوز، بيتاً قديماً بظل بندقية، ديوان شعر بظل نيرودا، قطةً بظل قطة أصغر، شرطيّاً بظل بقعة سوداء رجّح أن تكون بقعة دمٍ، سيارةً بظل أشبه ما يكون بخارطة ألمانيا.

استكمل مشيته بلا نظارة، أحس أن في ذلك تعدياً على خصوصيتهم. لم يخطر في باله أن الأجسام غير البشرية تفكر بأشياء أيضاً، ولم يتوقع أن يلاقي هذا الكم من الظلال غير الحقيقية لأصحابها، إذ لم يجد ظلاً واحداً يتطابق مع الجسم المرافق له.

أخرجها من جيبه بسرعة بعد أن فكر في شكل ظله، نظر إلى أسفله، فصار المكان كله أسود، بظل كبير، أو بوصف أدق، ظلالا

كثيرة تختلط فيما بينها. دقّق فيها فوجد نساءً ورجالاً وأجساماً أخرى، رأى ظلالاً قد لاحظها من قبل، ثم توقف نظره عند ظل غريب الشكل، الغرابة فيه أنه يشبه أومبريه نفسه، بأذنيه الكبيرتين، وطوله القصير، وعرض كتفيه، وشعره المجعد، ورأسه المربع تقريباً، وهذا يعني أن أحداً ما في المكان يفكّر فيه.

نزع نظارته، وتفحص المارّين حوله، لم ينتبه لأي شخص يحدق إليه، وبعد أن يئس، أعاد النظارة فوقَ أنفه، وبدأ يحرك نظره من اليمين حتى اليسار، ليرى أيَّهم يفكر فيه، أيَّ واحدٍ ممن حولَه له ظل أومبريه، ثم أخفض نظره إلى مواضع الأقدام، فرأى ظله يخرج من قدميه، كانت هناك نملة قد وطئ عليها خطأ، وقتها تحول ظله إلى ظل نملة.

أعجبه ما حدث، وبقي على ذات المنوال أسبوعاً، كان من أكثر أيام حياته غرابة ومغامرة، لكنه وبعد نهاية الأسبوع، حطم النظارة وجعل كل جزء منها في مكان، إذ بينما هو عائد من عمله، رأى فتاةً على مقعد بلا ظل، وهو الذي اعتاد على الظلال، والتي تعني أن كلَّ الأجسام تراودها خيالاتٌ وأفكار، وقد وصل إلى فرضية أنه لا يستطيع أحدٌ ما ألا يفكر في شيء، حتى إذا قرر عدم التفكير، فإنه في تلك اللحظة يفكر في العدمية ذاتها، لكنَّ الفتاةَ منزوعةَ الظل أوقفت جلَّ تفكيره مرةً واحدة، نزع النظارة وتقدم إليها ليسألها، وبعد محاولتين فاشلتين لم ترد عليه خلالهما، اكتشف أنها لن تسمعه، ولم تبصره حتى.

الفتاة بلا ظل، كانت ميتة، والمقعد له ظل يشبه الفتاة.

رصاصة

سيموت الطفل، هكذا كان واضحاً أثناء القراءة، حتى إذا وصلت إلى آخر صفحتين، وكان الجنديّ يضع إصبعه على الزناد، يستعدُّ لإطلاق الرصاصة، لم أقلب الورقة، تركت الرواية جانباً، ليعيش الطفل.

بعد دقيقة واحدة فقط، أو لأطيل الزمنَ، ستين ثانية تماماً، سمعت صوتاً من ناحية الكتاب، كان هناك ثقبٌ كبيرٌ في الأسفل ممتدٌ حتى الغلاف.

عقاب

تلك اللحظات القليلة ما قبل أن أدخل البيتَ خلالَ ضغطي على الجرس، رفعت فيها نظري إلى الأعلى لأراقب سباحةَ الغيوم في البحر الأزرق فوقي، ومن بين كل من مرزْنَ لاحظت غيمةً صغيرة لطيفة، تحاول اللحاق بالركب، ثم نَصعَ بياضُها خجلاً لأنني رأيتها وهي تتثاءب من شدة النعاس. مالت بطريقها إليّ، فصارت فوقي تماماً، ثم قالت: «يا أنتَ، أيها الطيّب، هل بالإمكان أن أنام قليلاً فوق سطح بيتك؟ فلا يحقّ لي أن أرتاح على أرضٍ دون الاستئذان من صاحبها، في المقابل لي الحق في عبور كل السماء» بالطبع، لم أرفض، لكنها طلبت مني أن أوقظها بعد ساعة ونصفٍ لكي تكمل المسير، ووعدتها بذلك.

بعد انقضاء المدة التي اتفقنا عليها، خرجتُ إلى السطح، لكنّني لم أجرؤ على أن أقول لها استيقظي، فمن الواضح جداً أنها لا تزال مرهقة، لذا تركتها تغط في نومها. بعد ساعة ونصف أخرى، خرجت مرةً ثانية، وبدأت أفكّر في ردة فعلها، إن كانت غاضبةً منّي، أو إن تفهّمت وجهة نظري في عدم إيقاظي لها. إن سلاحها الوحيد هو الماء، فإما تنثر عليّ مطراً خفيفاً، أو تسقط وابلاً شديداً عقاباً،

خوفي من الحدث الثاني دفعني لتركها نائمة زمناً آخر.

في اليوم التالي، وبعد أن غفوت دون قصدٍ منّي، كان أول ما فعلته هو أن أرى ما حلّ بالغيمة، خرجت متسللاً، فتحت الباب العلوي شيئاً فشيئاً، ثم تبيّن لي طرف منها، وهذا يعني أنها ما زالت هنا. سمعتها تقول: «أهلاً، أهلاً» صوتها كان رقيقاً هادئاً، ما دفع بالخوف الذي اعتراني بادئ الأمر بعيداً، نظرت إليها فكانت في منتهى الوداعة، قالت: «لم أهنَأ قبل الليلة بنوم مثل هذا، سأهديكَ شيئاً قبل رحيلي، قف أسفل منّي تماماً» وهكذا فعلتُ، ثم بدأت برشّ المطر عليّ، مطرٌ اخترق رأسي، وكتفيّ، إلى أن استقر عند قلبي، شعرتُ بالماء يغسله، ويدعكه، ويغسله مرة أخرى ويدعكه، ثم يربّت عليه، إحساس غريبٌ لم يمرّ بي من قبل. قالت: «أهنّئك، هكذا عاد قلبك جديداً، غير مستعملٍ» ثم غادرتْ تضحك.

اليومَ، عندما تحدّثت مع إحدى الفتياتِ، غضبت منّي أشدّ الغضب، وكانت تصيح قائلةً: «أنا حبيبتك»!

مكارثي

اسمع يا هذا، أنا أقوم بعملي على أكمل وجه، لم أخطئ مرة واحدة في حياتي، سأقتلك، هل فهمت؟ هزّ مكارثي رأسه مبتسماً، وقال: سنرى إن كان بوسعك أن تقتلني، هاكَ المبلغ الذي اتفقنا عليه، موعدنا بعد أربعة أيامٍ، ثم خرج.

في غرفةٍ لا نافذة فيها، رطبةٍ ممتلئة برائحة خانقة، جلس المسمّى بالعين السوداء يسترجع ما حصل، جاءه مكارثي رغبة منه في أن يموت بعد أربعة أيام، إذ إنه كغيره من الناس الذين يجيئون إليه يطلبون أن يقتلهم في تاريخٍ معين، يكونون غارقين في بؤسهم لكنّهم غير قادرين على اتخاذ قرار إنهاء حياتهم بأيديهم، فيلجأون لمثله أو له.

يضيء مصباحاً يدوياً، ثم يخرج دفتراً دوّن فيه أسماء من قتلهم، وزمن العمل، إذ إنه يصرّ على أن ما يقوم به هو وظيفة يأخذ أجرها، وأنه ليس قاتلاً ليعاقب، وهو يجعل من زبائنه يوقعون على ورقة يسمحون له فيها بأن يميتهم. بقلمه الأحمر كتب: مكارثي، وترك خانة الزمن فارغة حتى إتمامه المهمة.

كعادته، يراقب ضحيته في الفترة السابقة لإطلاق الرصاصة،

حيث لا يحتاج غيرها. يرى مكارثي يخرج من بيته في الساعة السابعة صباحاً، ويعود في الواحدة، ثم يخرج مرة أخرى إلى الحديقة العامة في تمام الرابعة ويعود من طريق بعيدة عن صخب المدينة بلا وقت محدد تماماً، كأنه يشير إليه، تعال هنا في هذا المكان فاقتلني، لكنّ العين السوداء يسأل نفسه: لماذا عليه أن يسهّل المهمة وهو الذي تحدّاني أنني لن أقدر على قتله؟ ثم أضاف: أيظنني ضعيفاً إلى هذا الحد؟ لن أستخدم أساليبي المعتادة، لن أسدد عليه من بعيد، ولن أطلق النار عليه في الطريق البعيدة، سأدخل بيته، وجهاً لوجه، وأنهي عملي.

في اليوم الرابع، اليوم المنتظر، دقّ العين السوداء باب منزل مكارثي، لكنّ أحداً لم يفتح الباب، ثم سمع صوتاً يقول له أن ادخل، وهكذا حصل، لكنّه لم يخطر في باله أبداً، أن يجد ما وجده أمامه. البيت فارغ من كل شيء، عارٍ كما صنعه العمّال، إلا من أريكة حمراء يجلس عليها مكارثي واضعاً ساقاً فوق ساقٍ، ويبتسم قدر ما أمكنه. وفي ظل تفاجُؤِ القاتل المأجور، عاجلَه مكارثي قائلاً: كما توقعتُ، أهلاً بك، ها أنا أمامك، فماذا أنت فاعل؟

تمالك العين السوداء نفسه، ثم أجاب: هييه أنتَ، إنها رصاصة واحدة فقط، أتراها؟ وأخرجها من جيبه، ثم وضعها في سلاحه، ورفعه في وجه مكارثي، وسأله: هل ما زلت على تحديك لي؟

فأجاب: نعم. ثم دوّى صوتٌ في المكان، ظل صداه مدة غير عادية يتردد، ليدخل الجيران بعدها بدقيقة إلى المشهد التالي: العين السوداء يرتجف ويوجه سلاحه على جثة مكارثي النازفة على الأريكة، في الجلسة نفسها، والابتسامة، التي يعلوها ثقب دامٍ في منتصف جبينه.

بعد شهر، خرج من السجن بعد أن استطاع محاميه تبرئته بحجة ورقة الاتفاق، وورقة أخرى مكتوب فيها: أنا قاتل زوجتك، ومرفقة بشيك مصرفي وجدوهما في جيب قميص مكارثي، لكنّ العين السوداء ركض فور خروجه إلى غرفته، أمسك الدفتر، ثم مزّقه، وصرخ: لست أنا، من قتل أخي؟

طريق بلا قدر

يرفع فيرناند قدمه، ثم ينحني ليلتقط قطعة النقود، يقلبها بين أصابعه. يقول: إنها كأي قطعة نقود أخرى، بوجهين، لم يسأل لمن هذه؟ كان سنتاً واحداً لا أكثر، لا يهمّ أحداً، ولا يغني من جوع، ثم كأن كهرباء سرت في جسده، توقّف عن الحراك للحظة، ابتسم قبل أن يتحوّل وجهه إلى وجه بوكر. نظر إلى ساعته ثم أكمل المسير وعيناه لا تفارقان قطعة النقود. فليبارك الرب، تمتم، ثم رماها عالياً حتى لمعت ثم أمسكها بإحكام، قرّر إن كان وجهها صورةً أن يذهب إلى مقهاه المفضل، وإن كان كتابةً أن يلغي الذهاب إلى ما اعتاد عليه. كان صورةً، ارتاح وانطلق مسرعاً حيث كرسيّه. يسأل فيرناند نفسه: هل أطلب شاياً كالمعتاد؟ يطلق قطعة النقود ثم يعاود ما فعله، (يتمتم) صورة نعم، كتابة لا.

يرنّ هاتفه، يرمي السنتَ فيلتقطه، لا يردّ. فتاة وحدها على الطاولة المجاورة للشباك، يرمي، صورة، يطلب الجلوس معها، ولا تمانع، يتحدّثان مدة نصف ساعةٍ، ثم كما يشاء السنت، يطلب رقمها قبل أن يغادر، تاركاً وراءه فنجان القهوة نصفَ ممتلئ.

يمشي حتى مفترقٍ، يختار الأيمن كما تشاء قطعة النقود،

يتفحص قائمة الأسماء في هاتفه، يمرر إصبعه على الشاشة، يتوقف ثم يقرأ اسم والده الذي لم يتحدّث معه منذ خمسة شهورٍ، يرمي قطعة النقود، يمسكها، يتمنّى: كتابة كتابة، ثم بعد نصف دقيقة يخرج صوت أبيه من الهاتف: ألو. ينظر إلى ساعة يده، إنها الثالثة والنصف، ويتبقى على بداية عمله المسائي نصف ساعة، يرتجف أثناء الرمي، يلتقط أنفاسه والسنتَ، يزحزح كفّه شيئاً فشيئاً، ثم يبتسم بارتياح.

بعد منتصف الليل بقليل، يسير فيرناند في طريقه إلى بيته، يلاحظ شحاداً، يقف أمامه، يخرج السنتَ من جيبه، ثم يرميه عالياً، حتى يسقط في يده، يزحزح كفّه، صورةً، ينظر الشحاد إليه بامتعاض، فيردّ عليه فيرناند: هييه، صحيح أنه سنتٌ واحد فقط، لكنّه جعلني أقوم بما لم أقم به منذ مدة، إنه أكثر مما تتوقع، لو أن وجهه الأخير كتابة لما كان بين يديك الآن، ثم يمشي وحيداً، ويحدث نفسه: لماذا اختارت قطعة النقود لنفسها الموتَ؟

نساء

رنّ هاتفي المحمول، فظهر لي أنه رقمٌ غريبٌ، أجّلتُ الردّ ناوياً عدمه، إلا أن رنينه المتكرر كأنه شخص يحتضر يطلب مني إنقاذه بالضغط على الدائرة الخضراء، جعلني أقول: «ألو»، قبل أن تنقطع أنفاسه.

إذن، تحدد الموعد على عجالةٍ، فالصحفيّة طلبت لقاء سريعاً قبل أن أنقضي إلى ما وراء هذا اليوم، وكان ما تريد، فإن الأمور تجري دائماً كيفما تشاء النساء. بعد أَن التقينا، وتجهّزنا، أخرجت هاتفها وبـدأت بالتسجيل، وسألت: «كيف حال حبيبتك؟»، تنحنحتُ، وحسبت أن ناراً تخرج من وجهي، تلوّنتُ، وسألت نفسي، ما أدراها؟ وأنا الذي كنت أظنّ سؤالها عن إصداري الجديد، فيكون الحدث سبقاً صحفيّاً، دائماً ما تعاكس النساء ظنّك.

رددت باقتضاب: «بخير»، فأجابت فـوراً: «إذن، هنالك واحدة»! ليصرخ الذي في داخلي: «لقد وقعت في الفخ»، وهنا لا مفرّ، ولا سبيل لأغيّر الإجابة، فجهاز التسجيل كلّما لحت بنظري إليه غمزني بإشارته الحمراء، تخيّلت امرأة أخرى تمسك بطنها من شدّة الضحك عليّ، أنا الذي وقعت في الشباك.

هززت رأسي -أي نعم-فسألت مجدداً بصيغة التثبّت من المعلومة، أي أنني عليّ أن أجيب بنعم لا غير، هل رميت لواحدةٍ قبل سبعةِ أعوام رسالةً في إنبوكس الفيسبوك؟ هنا بدأ الشكّ يلعب في داخلي، عن أي واحدة تقصد؟ وهل أصلاً فعلتُ هذا؟ لم أتذكر أنني فعلت شيئاً كهذا، لكنها على ما يبدو متأكدة من الأمر، وليس بالإمكان أن أحرج نفسي، هي سألت بهذه الطريقة وهذا يعني أنها تعلم حقيقة الأمر، إنّها تقوم بمهمّة الملاك على الكتف إذ يسجّل خبايا النفسِ غير متشكّك ولا متردّد، أو كأنها زوجتي، تريد أن أجيبها بالذي يرضيها، إنه من الغباء أن أقول لامرأة أنتِ مخطئة، فكانت إجابتي نعم مرة أخرى.

ثم أنهت اللقاء وغادرت، ليتضّح لي بعدها أنني لم أكن أملك حساب فيسبوك في ذلك الوقت، وأن عليّ أن أذهب إلى المقهى محضّراً قائمة من الأعذار لأنني سأتأخر عن موعدي الأول مع حبيبتي، دقيقتين ونصف.

تطنيش

غداً، صحوتُ متأخراً دقيقة وربعاً، ولأن النعاس استملكني، تركت عيناً على الوسادة ثم قفزت من على سريري فاصطدمتْ ركبتي بحافة المكتب المجاور، تركتها هي أيضاً، وهرولت إلى المغسلة لكي أطرد الشيطان من وجهي، فأنا أملك ساقاً إضافية. وبعدها بدقيقتين، كنت قد أنهيت تفريش الصف العلوي من أسناني، واكتفيت.

ارتديت قميص «كاروهات»، فلم يعجبني تداخل الأحمر بالأزرق، أردت أزرق كاملاً لا شائبة فيه، فبدأت بتلوين المربعات الحمرِ بقلم حبر أزرق، أذكر أنني استنفدت ثلاثة أقلام كاملة. عدت إلى عيني وركبتي فأعدت تركيبهما وخرجت إلى الشارع منتظراً سيارة صفراء تقلّني إلى حيث أعمل.

تأخر السائق، ولا أحد في الجوار يطرح سلاماً أو خيراً صباحياً فيباركني الله لبداية يوم جديد. سيصيح الديك، فأنهض من نومي لا فزعاً ولا مكدر المزاج ولا نعساً، أفرك عينيّ بوداعة، أقبّل الوسادة، أنتبه إلى قطعة الخشب الناتئة فأتوعدها ضحكاً، أبتسم وألوّح لنفسي ثم أقبّل المرآة، ألوّن قميصي كما تخيلت. وبعد ربع ساعةٍ أخرج صائحاً بهذا العالم: لنهمل هذا اليوم، ولنعبد أنفسنا.

البحر الأسود المتوسط

بعد أعوام، سيتشاجر صيادٌ مع زوجته، يضرب أبناءه، يشتم الإله، يسير مكفهرَّ الوجه إلى شاطئ البحر المتوسط في القرية، دقائق وتشده صنارته إلى الأمام، يفرح، يضحك، يقهقه، يولول، يبكي، لأن السمكة لم تكن ضخمة كما توقع، كانت طفلاً.

عزلة

أبتعد مسرعاً عن سيارة الأجرة بعد أن ضربت بابها بقوةٍ، أدخل المنزلَ، أغلق الباب، أصعد بكل ما أوتيت من هزيمةٍ إلى غرفتي، أسدّ الباب الثالث، أردّ النافذة، أضم الستائر إلى بعضها، أزحزح الخزائن والسرير فتتكون مساحةٌ مربعة الشكل بمترين في كل اتجاه. مساحةٌ تكفي لأمارس عاداتي الخفيّة، أضرب نفسي ثلاثاً وعشرين مرةً، أتكوَّر واضعاً رأسي بين ركبتيّ، حاضناً إيايَ في مساحة لا تتجاوز بلاطتين، أغمض عينيّ، أصرخ، فلا أسمع صوتي، ولا أحد يهبّ لتفقدي. هناك فراغ ما يزال حولي، وهذا ما يسبب ضيقَ تنفس، أخرج ملابسي وأرميها حولي لأصمّ الفراغ اللعين، ولا فائدة تستجدى، فالغرفة عالية، ولن تنفع محاولاتي هنا.

أدخل إلى خزانة، أكدّس نفسي بذات الجلسة السابقة، فأجد المكان مريحاً، لا فراغ سوى القليل، فأرتاح، وأبدأ بالعدّ من عشرة آلافٍ وواحد، فقد وصلت في المرة الماضية إلى هذا الرقم إذ أعدّ كل مرةٍ ألفَ وجهٍ قابلته في الشوارع.

بالمقلوب

إنه ليس وهماً، إنني وبكل ما أملك من بَصَرٍ مدّني به الله أرى رملاً يصعد لأعلى، حبيباته تترك بعضها وتنطلق عبر الفوهة الضيقة في الساعة الرملية، ثم تتجمع في الأعلى، وعندما أعيد وضعية الساعة فيصير الرمل في الأسفل يبدأ بالصعود مرة أخرى.

أحاول حساب الزمن الذي يستغرقه الرمل في التجمع فأجده مرة تسعاً وعشرين ثانية، ومرة أخرى ثلاثين، ومرة أخرى ثماني وعشرين، فأفترض أن صانع الساعة كان ماهراً جداً وأن زمن الدورة للساعة هو نصف دقيقة، وأنني أملك مقداراً من الخطأ يقارب الثانيتين.

ثم أكتشف امتلاكي لمقدار من الخطأ يساوي عدم الصواب إذ نسيت بأني أقوم بتمارين الوقوف على اليدين، وأنّ ما أراه ليس إلا انعكاساً.

أحاول الجلوس، فلا أستطيع، أحاول ولا نتيجة تذكر سوى أنني أسير على يديّ. أخرج من الغرفة إلى باقي غرف البيت، فأجد كل شيء مقلوباً، السقف تحتي، والمصابيح، والبراويز، أو أنا فوقها، أو ربما أمشي على السقف والأرض تحتي. أرى أمي

تفرم السلطة، فألقي السلام، فتقول: بركات الله ورحمته عليكم والسلام! أقف مندهشاً، أعني وقوفاً مقلوباً باندهاشٍ، ثم أقرر أن أنزل الدرج وأخرج إلى الشارع، وعندما أنتهي وأفتح الباب بإصبع رجلي الكبير، أجد نفسي على سطح البيت، والناس يمرون من أمامي، وسيارات تعبر، وأطفال حاملين حقائبهم المدرسية، كلهم يتقافزون من سطح لآخر بكل ما في الأمر من اعتياد، أسرع بقطع الشارع ومع هذا تصلني شتائم سائق التاكسي، «حيوان واحد»، حتى أصل إلى حافة السطح، أطلب من أحدهم حملي لأنظر لأسفل البيت، فأرى شخصاً يشبهني تماماً، يقف على قدميه، فيقول: ارجع واقلب الساعة الرملية، نحن في انتظارك.

الحنين إلى إسبانيا

هناك سورٌ خشبيّ ترك الحديقة، لم يطرق الباب، بل دخلَ من النافذة متسلّلاً مستغلّاً نوم أهلي المبكر، ثم نقر على كتفي الأيسر حيث كنت جالساً في الصالون، وعندما هممتُ بالصراخ أغلق فمي بإحدى خشباته وهمس: هش. هدأتُ، ثم خرجَ صوتٌ لا أدري موضعه من جسده الافتراضي، فقال: أرجوكَ دعني أشاهد هذا الفيلمَ معك.

لم أمانع ولهذا أفرغت باقي الكنَبات ليستطيع الجلوس براحته. بعد عشر دقائق، سمعت صوت عجوز تنادي في الساحة الخلفية للبيت: نيفادا، نيفاااادا! أسرعت إلى إحدى النوافذ المطلّة عليها، فلم أجد أحداً، فنويت أن أعود إلا أن السور الطويل نادى عليّ: هيه، هل نيفادا عندك؟ قلت: لا! ثم رجعت عائداً إلى الصالون الذي صار بفضل السور الصغير سينما، وفي اللحظة التي دخلت فيها عليه وجدته يغلق التلفاز ثم يبتعد فجأة عنه ولونه شديد الخضرة، وبعدها بدأ لونه يعود تدريجيّا للون البني. سألته: هل أنتِ نيفادا؟ قال أو قالت: نعم، أرجوك لا تخبر تلك القبيحة أنني كنت عندكَ، ثم أسقطت دمعتين على فراغ بين سجادتين، وعادت إلى الحديقة.

فتحتُ التلفاز لأكمل الليلة الغريبة وحدي كما كنتُ، فإذ بالشاشة متوقفة على لقطة فيها شجيرة صغيرة أوراقها حمراء، ثم ضغطت على زر المتابعة متأملاً ألا يقاطعني أحد أو شيء، إلا أن ضوئين أبيضين انطلقا من بين السجّادتين إلى الشاشة ليعرضا لي فيلماً جملة:

«ستصير شجرةً أيها البشريّ إن بقيت نيفادا هنا، في حوزتك أسبوعين فقط.»

***

شركة البريد وافقت في نهاية الأمر على إرسال قطعة الخشب إلى عنوانٍ افتراضي في إسبانيا بعد يومين من الأخذ والعطاء انتهى برشوة الموظفة.

***

اليوم هو الثاني عشر من تلك الليلة، جسدي بدأ بالتصلّب وجلدي قطع شوطاً كبيراً من جفافه، آمل أن تصل شحنة البريد بسرعة.

مريض

اعتدت أن أجلس على هذه الطاولة كلما أتيت إلى هذا المكان، طاولة في الزاوية البعيدة عن الطريق يخبئها عمود فلا يراني إلا قليل في المقهى، حتى أنني أطلب ما أريد فور دخولي قبل الجلوس، لأنه وفي أكثر من مرة أجلس ثم لا يأتيني النادل ليسأل عن طلبي. ثم حدث في يوم خريفيّ أن جاء شخص هادئ الملامح، ألقى التحية ثم سأل: كم الساعة؟ أجبته فشكرني وغادر. لم أكن لأعبأ به لولا تكرار المشهد مدةَ أربعة أيام متتالية، يجيئني فيسأل فأجيبه فيغادر. في المرة الخامسة، وقد شعرت أنه من الممكن أن يكون من الذين ينغّصون على الشخص مزاجه، وأنه لا ينوي معرفة الوقت إنما الاستظراف الزائد عن الحد، ارتفعت نبرة صوتي بسؤال استنكاريّ عمّا يقوم به، فأزاح الكرسيّ وجلس، ثم حدّق بي بضع ثوان قبل أن تنفرج شفتاه ويتكلّم:

«يا صديقي، أنا لا أعرفك، وأنت لا تعرفني، ولا أتذكر صراحة أنني سألتك من قبل عن الساعة، أو أنني قد رأيتك هنا قبل الآن، إن كان لديك متسع من الوقت فاسمح لي أن أسرد قصّتي عليك». هززت رأسي موافقاً، ثم تابع: «أنا، أنا رجل مصاب بمرض، لا أعلم

إن كان هناك أحدٌ غيري مصاباً به، أنا شخص أملك ذاكرة مدتها يوم واحد فقط، يوم واحد لا غير، ثم لا أستطيع العودة لما حدث قبل خمس وعشرين ساعة مثلاً، لا أتذكر من قابلت البارحة، ولا أين غدوت.

كان يتكلّم بطريقة أقل ما يمكنني أن أصفها بأنها طبيعية، أو نقية، كان في كلامه وجع يكبر مع كل كلمة يقولها، وهذا ما جعلني أكذّب ما يجول في خاطري وأن أصدّقه. قال: «أتوقع أنك تسأل نفسك كيف أعود إلى بيتي، وكيف أعرف أصلاً أنني مريض بما أنني لا أتذكر، ألا تفكر بهذا؟ نعم نعم أنت تفكّر، هذا شيء مؤكد، سأجيبك» ..ثم تناول دفتراً من حقيبته، وجعلني أقرأ ما كتب في أول صفحتين، كانت رسالة تشبه استشارة طبية تصف حالته المرضية، يبدو أن أحد أقربائه قد كتبها له ليخففوا عن أنفسهم مشقة إخباره اليوميّ بمرضه، فيقرأ كل صباح ما هو مكتوب، فيها: «الشخص الألطف في هذا العالم، نحن مرضى، ونحبّك، حاول أن تتذكرنا، ولا تتركنا، مرضنا أننا وإياك لا نتذكر ما حدث البارحة». نظرتُ إليه مهزوزاً، في المكتوب كذب خفيّ، هو المريض لا غير، ولا أدري إن كان يعلم أم لا، لكنني تركت له حرية الكلام والانطلاق، كانت في عينيه رواية..، قال: «قرأت هذا صباحاً، وسيأتي أخي ليصطحبني في الساعة السابعة، لكنّني قبل قليل خطر في بالي شيء مخيف، مخيف يا رجل، إن كنت حقاً هكذا، فهذا يعني أنني لن أتذكرك غداً، ويعني أنني سأمر جانبك دون أن أطرح التحية عليك، ستتذكرني أنت بدورك، وتحاول تعريفي بك فتفشل، ليس أنت من يهمّني صراحة، ما أفكّر فيه أنه ماذا لو وقعت في الحب مرة؟ ثم سكتْ، كانت دقيقةٌ وددت لو أنها تحذف أساساً، لم أر

أحداً بمثل حزنه وقتها، لم يبكِ، لكنّ عينيه شاختا فجأة، حتى عاد للكلام بصوت خفيض: «إنها مشكلة يا صديقي، أن أحبّ ثم لا أستذكرها، ولا مشاعري تجاهها، أنا لست فاقداً للحب، أنا فاقد للذاكرة، أنا لست مثلك، ربّما تتذكر حبيبتك، وتحاول أن تنسى، وقد لا تستطيع، أو تستطيع، وربّما قد ذكّرتك بها الآن، لكنّني لا أعرف كم فتاةً أحببت، ولا أتذكر لا شكلاً، ولا كلاماً، ولا مشاعر، لا تحسدني، أنا أحسدك، صحيح أن جزءاً من ذاكرتك متروكٌ لها، ولا تستطيع التخلّي عنه، وقد يؤلمك، لكن في لحظةٍ ما، ستبتسم لأنك تذكرت، لأن بضع أحداث جميلة ربطتك بها، أما أنا فلا أملك إن أحببتُ سوى أن أحبّ بضع ساعات، أن أعجب، فيهوي قلبي، نمشي، نضحك، نفرح، تقول لي أحبك، وأقول لها أحبك، نتودع مرة واحدة، وإلى الأبد، ثم عندما أصحو من المؤكد أنني لن أتذكر، وربما أبدأ قصة أخرى»، كان يبكي، ثم وقف وطلب أن يحضنني، وقفنا قليلاً، ثم استدار وقال: «أنا لست مريضاً بالذاكرة، أنا مريض بالحب».

الشيطان

أنا جندي أسود على رقعة الشطرنج، هُدّدت ثلاث مرّات حتى الآن بالخروج من اللعبة، مرة عندما كان الفيل على بعد خمسة مربعات، ومرة عندما كانت القلعة على بعد خطوتين، ومرة عندما كان جنديٌّ مثلي على المربع الأيمن أمامي، لا يهمّني لو كنت متّ على يد الأولين، إنما كيف أموت على يد هذا الجنديّ، إنه مثلي وأنا لا أموت إذا واجهني أحدهم بذات القوّة، آمل أن يفهم الشيطان الذي يتحكّم بي هذا الأمر، فهو يواجه الله بكل غباء.

مسافة إلى الماضي

بنصف عين أقف أمام المرآة، أحكّ رأسي، وأتثاءب مصدراً آهة مزعجة، أنتظر أبي منادياً عليّ ألّا أقوم بمثل هذه الحركة مرة أخرى، لكنْ أتذكر أنني وحدي في البيت، وكلٌّ منصرف إلى حياته خارج هذه الجدران.

أنظر إلى وجهي، فأرى خطين يلتقيان أسفل عيني اليمنى قليلاً، يبدو أن الوسادة قد صفعتني أثناء نومي، أضحك، ثم أسخر من نفسي، وأكمل تفحّصي لهذا الوجه أمامي، أصعد إلى شعري ثم أدقق جيّداً، أدخل أصابعي فيه باحثاً عن شيء غريب لفت انتباهي، شعرة بيضاء في هذا السواد.

لا يروقني هذا الصباح، أبحث عن المقص وأقرر التخلص من هذه الشعرة، أمسك بها ثم أدخل حدّي المقص إلى أن يصلا إليها، وبعد محاولات ثلاث، أنجح في قصها، أحملها وأقول: يا اللعينة، ما زال الوقت مبكراً للحرب.

في اليوم التالي، أقف مرةً أخرى وقفتي الصباحية، فأجد الشعرة البيضاء قد نمت بشكل أطول مرتين من أمس، إنها الحرب، أقصّها وأكمل يومي.

أستيقظ صباح اليوم التالي، لكنني أتباطأ في الوقوف أمام المرآة خوفاً من أن أجد الشعرة قد نمت أكثر، أعتدل في جلستي وأمسك جهازي المحمول لكنَّ شيئاً ما يدغدغني في القسم الأيمن من وجهي، فأتحسس موضعه لأكتشف أنه نهاية لخيط طويل ربما يكون «شعرة بيضاء»، أقفز للوقوف ككل مرة، فأتيقّن من الأمر.

يمر أسبوع وما تزال الشعرة تنمو، إنها تبلغ الآن من الطول شبرين ونصف شبر. وفي الصباح الجديد، أرى أنها لم تزد طولاً، بل هي كما كانت البارحة، أستغرب ولكنني أظنها تريد الاستراحة قليلاً.

ثم أقرر الخروج من البيت، أفتح خزانة الملابس، أمرر يدي على مجموعة القمصان، أختار البنفسجي ثم أمضي إلى ما أردت.

أعود متأخراً فلا أجد الوقت لتغيير ملابسي لشدة تعبي، أنام مباشرة وعند استيقاظي، تضرب كفي بالشعرة الطويلة، إنها متيبّسة، أتأكد فإذ بها قد أحاطت بالزر الثالث العلويّ، هناك شعرة شقراء طويلة أخرى تختبئ داخل القميص، لقد سقطت من حبيبتي في حضننا الأخير.

الشباك الخامس

أدخل إلى البنك لأن وقتاً زائداً في يدي أشارت به الساعة، أضغط الزر الأحمر على الآلة فتخرج الورقة بالرقم 131 وتسحب معها ورقة أخرى بالرقم 132، فينادي الصوت المسجّل: «تسعون».

أتفحص في وجوه الناس الجالسين، يأتون ويغادرون، ألوانهم تتعدد، وأطوال أكتافهم تتفاوت، وانحناءات ظهورهم تتباين، ولا يفوتني بالطبع أن ألاحظ حجم الرزم التي تخرج من الفتحة الزجاجية أمام كل موظفٍ، وأضحك، يا لهزليّة الموقف! فكلٌّ منهم يعدّ يومياً مبلغاً كبيراً من المال الذي ما إن يلامس يديه حتى يصير في يدي الزبون، أو الجارور.

أقلّب نظري بين الموظفين، فأجد فتاة في الجهة اليسرى تضحك مع رجل يقارب الخمسين من عمره، ولا أدري لم تحركت في الرغبة أن تتكرّم عليّ بما أعطته له. أغيّر مقعدي لأصير أمامها تماماً، فأنظر إليها فلا تعيرني اهتماماً، ثم أعود لمقعدي السابق فهو يتيح لي رؤيتها كل الوقت بينما هذا المكان يحجب عني الرؤية عندما يأتيها زبون إذ يولّيني ظهره.

يجلس شيخ بعكازةٍ نصف طوله جانبي، يسعل بصوت حادٍ،

ثم يتأفف قائلاً: «يلعن أبو هالشغلة، هاظ وينتا بدو ييجيني الدور!»، أطيل رقبتي لأعرف رقمه فتنفتح عيناي لا إرادياً فرقمه 170!.

الصوت المسجّل ينادي: «مئة وخمسة عشر»، أبدأ بعدّ الموظفين، إنهم خمسة، وهناك امرأة تذهب إلى الموظف الثالث، أفترض أنهم يقدّمون الخدمة لزبائنهم بوقت متساوٍ، أي أن الزبون التالي سيذهب إلى الشباك الرابع والذي بعده إلى الخامس، أما أنا وبعد إجراء عملية حسابية، لي احتمالان، إما الشباك الرابع أو شباك الفتاة الجميلة. ثم يخطر في بالي أنه إذا حدث وتأخر أحد الموظفين فهذا سيغيّر الترتيب، أدعو الله في سرّي أن يسير الأمر كما هو مخطط له، أو كما أريد بخطتي.

الصوت المسجل ينادي: «مئة وثلاثة وعشرون، مئة وأربعة وعشرون»، هناك رجلان يذهبان إلى الشباك الأول والثاني، يمرّ الوقت ببطء قاتل، ألتفت إلى شباك الفتاة فإذ بفتاة أخرى تقف عندها، تتأخر، ينادي الصوت: «مئة وثمانية وعشرون»، الفتاة ما تزال واقفة عند الشباك الخامس، شباكي، أتعرّق ينادي الصوت: «مئة وتسعة وعشرون»، يزداد اضطرابي، ثم أهدئ نفسي فأنا أملك احتمالين بورقتي، «مئة وثلاثون»، ثم «مئة وواحد وثلاثون»، أقدّم الورقة إلى الشيخ بجانبي، فينظر إليّ مستغرباً، أهزّ برأسي أي نعم، فيتمتم بكلمات لم أسمعها لأن الفتاة تدير ظهرها وتغادر الشباك بسرعة، فينادي الصوت: «مئة واثنان وثلاثون»، إنه رقمي عند الشباك الخامس، أذهب محاولاً إخفاء ارتعاشي، أصلها، تبتسم وتقول: «كيف وأنا أجيب الدور لعندي؟»، فتزيد ابتسامتها نضارةً، ثم تقول: «تفضل، إيش ممكن أخدمك؟» وما تزال محافظة على

ثقتها، أما أنا فلم أجد ما أقوله أمام حسنها، ثم أتذكر أنني لست عميلاً في هذا البنك وأنني قد دخلته لأنه يقدّم خدمة الهواء البارد والمقعد المريح مجاناً في حرّ هذا الصيف، أتلعثم، أتورّد، أصمت زيادة على صمتي مدةً أخالها كلَّ عمري، ثم تقول وبشكل خاطف: «بس تعرف تقولها تعال!»، أدير ظهري، ثم أغادر بسرعة، وبعد أن أصل إلى الشارع أتذكر أنني نسيت هويّتي على الشباك الخامس!

عيد ميلاد

عندما طلبوا من الطفل في عيد ميلاده أن يتمنى أمنية، كانت الشمعة أمامهم تحدّق بهم وتقول: أتمنى عائلة.

فيوليت

الساعة السابعة إلا ربعاً، التقطت حقيبتها البيضاء المخططة ثم أسرعت بالخروج من غرفتها إلا أن مرآتها بجانب الباب قد استوقفتها، فهذا طبع النساء أن يطرحن السلام على المرايا، أو حتى لو كان زجاجاً عاكساً قليلاً، فردّت المرآة بالجمال، وتكتشف فيوليت أنها بحاجة لقليل من الروج الأحمر على شفتيها الصغيرتين، ثم تمضي غير آبهة بالدقيقتين الضائعتين فما زال هناك وقت للحفلة.

كان من المفترض أن تذهب تجاه الشرق، إلا أنها عندما وقفت بجانب الشارع فاضت أنوثتها في المكان وقررت أن تهدي الكونَ شيئاً من جمالها، ذلك الامتلاء الداخلي بالعظمة، أن ترى نفسها مركزاً للسلام، وعينيها شمعتين دافئتين تبعثان الضوء، وخطواتها نقرات على بيانو الرصيف فتتراقص من حولها الملائكة التي تتخيّلها حولها إثر النور الذي أغشى ما حولها، فذهبت تجاه الغرب.

دخلت كنيسةً فوجدت رجلاً رافعاً يديه مبتهلاً إلى الله يدعوه، فانتظرته حتى انتهى وردّدت «آمين»، فيلتفت إليها جازعاً فترى على خدّيه زنّارين من الدمع، فتبتسم فيبتسم ويهزّ رأسه، ثم تخرج.

تمسك هاتفها المحمول ثم تضغط على الأرقـام بشكل عشوائيّ وتنتظر أن يردّ عليها أحد ما، فيجيبها صوت عجوز يرتجف قائلاً: «ألو»، فتقول له بسرعة: «أحبّك»، بكامل ما في صوتها من رنين ورقّة، وقبل أن تسعفه الكلمات أغلقت المكالمة، ثم أكملت المسير.

موسيقى تخرج من زاوية ما لم تستدلّ عليها إلا أنها زادت فيها تلك الحاجة للبكاء، فأشدّ التعبير عن الدهشة هو أن تخرج أنقى ما في داخلك، ومع ماء عينيها خرجت كلمة «الله»! بكامل ما في الألف من استطالة وحدّة وما في الهاء من فراغ، ذات الفراغ الذي أخرج «آمين» و «أحبك.»

فلسفة حياة

قصّت ضفيرة من شعرها وخرجت إلى حديقة البيت الخلفية، لم يكن بحوزتها فأس أو أي قطعة حديدية أو خشبية تساعدها على الحفر في التراب، فنبشت بيديها الناعمتين حتى تكوّن تلٌّ صغير من التراب المفكك بجانبها، وضعت الضفيرة بحذر وتأنٍّ، ثم أهالت عليها ما تجمّع وسوّت ما حولها بضربات خفيفة بكفّيها، ثم عادت إلى المطبخ وعبّأت كأساً كبيرة ماءً ورجعت إلى الضفيرة لترويها، ثم رأت أنه من المناسب أن تحيطها بدائرة من الحصى وهكذا كان.

يمر يوم وآخر وأسبوع ومثيله، والضفيرة على حالها الأول، إلا أن لونها الأشقر يزداد لمعاناً مع كل رشة ماء تحنو عليها ماتيلدا، وفي المساء قبل المفاجأة، كانت ماتيلدا قد أنهت ترتيب غرفتها، ثم أشعلت الضوئين الأصفرين الخفيفين فوق سريرها لتبدأ بقراءة رواية كانت قد حصلت عليها من المكتبة التي اعتادت الشراء منها، غير أن هذه الرواية أخذتها بلا مقابل كما أراد صاحب المكتبة بحجة أنه لم يشترها أحد منذ الافتتاح قبل واحد وثلاثين عاماً.

في هذه الليلة سمعت صوتاً غريباً لم تدر كنهه ولم تحاول أن تسترق النظر خارجاً، فأكملت تحاصر نفسها بغطاء السرير حتى

ذبلت عيناها لكنّ جملةً استوقفتها فطار النعاس وانتبهت لما هو مكتوب، فتذكرت أنها قد مرّت بالجملة قبل الآن فأعادت تقليب الورقات لتعود إلى الصفحة التي قرأت فيها هذه الجملة إلا أنها اكتشفت أن جميع الصفحات السابقة قد انطمست ولا حاضر إلا الفراغ! أصابها فزع أثار فيها ضحكاً هستيرياً، إذ كيف لما قرأته قبل لحظات أن يختفي؟

صباحاً، خرجت مسرعةً إلى الحديقة لترى الضفيرة المزروعة فلم تلحظ تغيّراً سوى أنها تزداد بريقاً كالعادة، فتشت عمّا حولها فوجدت بومةً تغطّ في النوم محنية رأسها الكبير للأسفل. أمسكت ماتيلدا حجراً صغيراً وقذفت به إلى الغصن الذي تتكئ عليه البومة فانتبهت وفتحت عينيها على كسلٍ ثم حدّقت بها وزعقت في وجهها. لم تجد ما يثير اهتمامها، فهمّت بالمغادرة لكنها تعرقلت فوقعت أرضاً وعرضت نفسها لضحك البومة حسب ما فهمت من نعيبها الحاد المزعج.

مساءً، حملت الرواية وفتحت على الصفحة الأولى فكانت الكلمات موجودة لكنها ليست تلك التي قرأتها في المرة الماضية. سرت فيها طمأنينة خفيفة، فهذه الرواية على ما يبدو أنها تقدم حكاية جديدة كل مرة، إنها محاولاتٌ لإعادة المرور بالماضي، إذ كيف سيكون الحال لو اخترنا طريقاً آخر غير ما اخترناه، فأعادت قراءتها ثماني مرات متتالية وفي كل مرة تجد حيوات تختلف تماماً عن بعضها، لكن ما لفت انتباهها أن النهاية واحدة، وأن هذه الخيارات تلتقي في أكثر من نقطة على مدار الزمن مما يتيح للمارّ أن ينتقل من احتمال لآخر مشكّلاً بذلك رواية واحدةً باختلاف زمن ظهور الشخصيات فيها.

وعندما أوشكت ماتيلدا على الغفوِ، لاحظت خبطاً شديداً على النافذة، فتقدّمت لتلتقي بالبومة وقد فتحت عينيها بأكبر اتساعٍ ممكن فترى نفسها فيهما يوم أقبلت لتزرع الضفيرة، ثم صرخت لأن طرقاً جاءها من تحتها، وبما أنه لا توجد طوابق أسفل غرفتها فهذا الطرق لا يمكن أن يأتي إلا من باطن الأرض!!

تاريخ ينتصر

إنها المباراة النهائية في كأس العالم، مدرجات الملعب تمتلئ بلون المنتخب المضيف، أكثر من مئة ألف مشجع يحتشدون هنا، وأكثر من وطنٍ يتابعون الحدث العالميّ الأول على شاشات التلفاز. المباراة صعبة جداً على المنتخب إلا أن وصوله إلى هذه المرحلة دليلٌ على قدرته على تجاوز العقبة الأخيرة ودخول التاريخ.

كل الصحف على مدار شهرٍ كاملٍ تتغنى بهذا الإنجاز غير المسبوق، والمحللون لم يتوانوا عن إدلاء آرائهم وتوقعاتهم ومصير المباراة حتى أنهم قد قدّموا للمدرب الأجنبيّ جُلّ أفكارهم وتكتيكاتهم والتشكيلة المفترضة للعب النهائي هذا.

الرهانات أيضاً كان لها دورها، ووصلت الجائزة الكبرى لأكثر من نصف مليون، وقد قرّرت الحكومة أن يكون هذا اليوم والذي بعده يومي عطلة رسميّة لإتاحة الفرصة لجميع أفراد الشعب أن يتابعوا مباراة العمر.

يدخل المنتخبان أرض الملعب، منتخبٌ مدججٌ بنجومه العالميّين ومنتخب آخر أقل ما يمكننا وصفه به أنه مفاجأة، لأنه لم يكن لأكثر المتفائلين أن يتوقع وصوله إلى هنا. يصطفان بجانب

بعضهما يفصلهما أربعة حكّام سيقرّرون كثيراً منحنى سيرِ المباراة، ثم يبدأ النشيد الوطنيّ لكلا المنتخبين ابتداءً بالبلد المضيف، ثم الزائر. وبعد الانتهاء تركّز الكاميرا الأساسية في الملعب على رئيسي الدولتين وهما يتصافحان، ثم تعود الشاشة لإظهار اللاعبين وهم يتبادلون التحية.

يطلق الحكم صافرة البداية، ويبدأ العد التنازليّ للنهاية بتسعين دقيقة، لكنها ليست هكذا فعلاً، فعلى الجانب الأيمن يمشي الوقت بطيئاً، وعلى الأيسر يركض بسرعة، إنه فرق الخوف والترقّب، فكلّما وددتَ أن ينقضي الوقت عاكسك ببطئه، وكلّما أردت أن يطول مضى.

بعد نصف ساعةٍ، يخرج المنتخب العالميّ الزائر بكامل طاقمه من الملعب، والكثير الكثير من الغضب بادٍ في وجوههم، لا نعلم لماذا كل هذا الانفعال، ما حصل هو أن أربع كراتٍ اصطدمت بالعارضة والقائمين، ثم على مرأىً من الجميع يتفكك المرميان، وتمشي ستة أعمدة حديدية، عارضتان وأربعة قوائم، تمشي نحو الكأس، وتحمله، ثم تمسك إحداهنّ بالمايكروفون وتقول: آن الأوان لنردّ هزيمتنا في الحرب العالمية الثانية، لقد كنّا في ما مضى بنادقَ ضدّهم وخسرنا، واليوم ننتصر بشكل آخر، إنه التاريخ يا سادة، يقفز من يدٍ لأخرى ليكتب.

مصنع البشر

نادت الفتاة الملقبة بالحمراء جارها ذا الزي الصيني، وأخبرته أن المرأة التي تسكن الغرفة الأخيرة قد دخلت في شهرها السادس من الحمل، وأن عليه الاتصال كما هي العادة بالمعهد السويسري لإتمام عمليات الولادة والتوزيع، وهكذا كان. بعد يومين، كانت طائرة صغيرة الحجم قد حطّت في حيّ الزهور لقرية في الهند، ثم أقلّت على متنها المرأة ويرافقها طبيب يعود بها إلى سويسرا.

تغيّر العالم، واستحدثت قوانين جديدة، وصار دستور واحد يحكم، وفي كل دولة هناك مجلس يناقش القضايا المجتمعية، ويحل المشاكل كلها وفقاً للقوانين العالمية التي تنظم وتجدول البشرَ في مجموعات، كما سيحدث مع المولود الجديد.

المعهد، أو مصنع الأطفال، أو بوابة الحياة، فيه يخرج المواليد الجدد إلى هذا العالم، حيث لا مكان غيره، إذ كما تقرر على كل امرأة تدخل شهرها السادس أن تتصل بهم وتخبرهم أنَّ هناك مولوداً قادماً، وخلال فترة لا تتجاوز ثلاثة أيام تكون طائرة في المكان، تحمل الأم والكائن داخلها إلى هناك، حيث تتم العناية بهما على أكمل وجه، وعندما يقرر الأطباء، يقومون بعملية قيصرية، ويعطون

للطفل رقماً متسلسلاً، وينظمون جدولاً لتغذيته، حيث ينتهي دور الأم بعد فترة معينة تلازم فيها الطفل، ريثما يطمئنون على كليهما.

بعد أن ينهي الطفل فترة أمه، ثم فترة الحضانة في معهد آخر في اليونان، يكون المختصون قد أنهوا ترتيبات اختيار المكان الجديد للطفل، حيث يدرسون توزيع البشر في الدول، ومقدار استيعاب كل دولة من الوافدين الجدد، آخذين بعين الاعتبار المصادر المتوفرة هناك.

عادت الأم إلى الهند، وبارك أهل الحارة لها، وأقاموا حفلاً صغيراً بهذه المناسبة، أما الطفل فقد تقرر الذهاب به إلى المغرب، حيث تم استقباله أيضاً بالأحضان والقبل، وإحالته إلى المركز المحلي للعناية به ريثما يبلغ عامه الرابع، حيث تخصص بعد ذلك غرفة بمرافقها الخاصة البسيطة له، في أحد المباني المشتركة بمرافقها العامة.

ظل الجميع ينادون عليه برقمه، حيث يأمر النظام هكذا، ألّا تطلق الأسماء أو الألقاب على أي أحد إلا بعد أن يقرر هو، ولا يساق إلى دين أو جماعة إلا بعد أن يقرر هو، في وقت يتكلم الجميع لغة واحدة، اللغة الإنجليزية، وتستثنى من ذلك بعض اللغات في شعائر خاصة، لكن إذا تقرر الخطاب والحديث، فلا لغة إلا المكتوبة في الدستور.

كبر، وتعرّف على أهله الجدد، وصار أصدقاؤه المقربون خمسة، شيخ قصير يقال إن أصله من اسكتلندا، وامرأة يهودية، ورجل أسود كالليل، وطفلة أصغر منه، بنمش كثيف وشعر برتقالي، وشاب في نفس عمره، لا يستطيع الكلام بطريقة سليمة.

في عيد ميلاده السادس عشر، وقف أمام أهل الحي، وقال: اسمي فراغ، ولكنّي أعرفكم، ولا ديانة لي، لكنّي أشعر أن الله حولي، ولا أريد السفر إلى أي مكان، أنتم عائلتي، لا أكره أحداً، وأحبكم جميعاً.

ملاحظة: من يموت، يقوم من حوله بالإجراءات نفسها، ثم تسافر طائرة به لترميه بعيداً، في مقبرة جماعية واحدة، تسمّى بوابة المجهول.

بانوراما

بما أنّني وحدي في الغرفة، فهذا يدعوني للكثير من الجنون، أقفز وأرقص وأُخرج لساني لهذا الذي في المرآة يشبهني، وأتشقلب ولا أنسى أن أبقى منصتاً لخطوات أحدهم إن مرّ بجانب الباب، فأتحوّل لقطعة إنسانٍ متيبّسةٍ قليلاً من الوقت حتى أتأكدَ من خلوّ المكان.

يخرجُ هاتفي المحمول صوتاً مشيراً إلى اقتراب انتهاء بطاريته، فيخطر في بالي أن ألتقط صورة للغرفة بكامل ما فيها من خرابٍ تشكّل، أضغط على أيقونة الكاميرا، ثم أختار نوعَ «بانوراما»، وأبدأ بإزاحة يدي والهاتفِ مع عقارب الساعة وصولاً إلى مئة وثمانين درجة من الدورانِ فأجد نفسي في مواجهة عدسة الكاميرا الخلفية، كأن أحداً ما خفياً يلتقط لي صورة، ثم أخرج من غفلة التحديق مكملاً دورة «البانوراما».

أجلس بهدوءٍ وفكرة الخفيّ تسري فيّ من قدميّ حتى أعلايَ، أضغط على أيقونة «الأستوديو»، ثم أختار الصورة الأخيرة، وأبدأ برؤية ما في الغرفة من خلالها، هنا الخزانة بأبوابها المفتوحة وقميصٌ على شرفتها يستذكر سهرة أمس، الرف المكسور وكتبٌ

لم أنتبه لها إلا الآن، ثمّ سريرٌ بغطائه المكشوف، وأخيراً صحن بسكويت مفتتٍ لم أذهب به إلى المطبخ.

أتيبّس فاتحاً عينيّ بكامل ما فيّ من قدرةٍ، أنظر إلى الصورة مرة أخرى، أستذكر مكاني وقتَ التصوير، هذا يعني أنه كان من المفترض أن أجد وجهي في الصورة بدلاً من القميصِ المعلّق، لكنّني لا أظهر، ما يفتح الباب لحقيقةٍ أخرى تضاف إلى دفتري الصغير، إنّني فراغٌ.

أخي يفتح الباب أيضاً، ويقول: «نيّالك فاضي، فش وراك إشي..».

طابع بريدي

أخرج هويتي من جيبي الخلفيّ وأضعها على الطاولة وهكذا أكون قد أفرغت ملابسي مما احتوته آخر مرةٍ، لكنّني أعيد الهويّة مرة أخرى فربما يطلبونها للتأكد منّي، أعدّ مبلغاً من المال وأشدّه في يدي وأمضي تاركاً بيتيَ حيث الفكرة التي أنوي تطبيقها هناك.

أصل، خمس درجاتٍ وباب زجاجي وأمتار قليلة تفصلني عن الموظف خلف النافذة المفتوحة على شكل نصف دائرة، أبتسم ملء شفتيّ وأصعد ثم يفتح الباب وأتقدم بسرعة موزونة إلى أول شخص سيستقبل الغرابةَ الحائمة داخلي.

يقول لي: تفضل، بم يمكنني مساعدتك؟ فأقول له: إنني أريد أن أرسلَ هذا الشيء إلى إيطاليا، نابولي، شارع سان كارلو، مبنى 88، شقة 6. فيضحك ثم يقول: لا يمكنني فعل هذا، فأجيبه بأنه من حقي إرسال ما أريد، وعليه التعامل بجدّية. فينادي مدير الفرع التابع لشركة البريد السريع، ليأتي الأخير مستفسراً عما إذا كان ما يقوله الموظف صحيحاً، فأؤكد على ما قاله وأزيد بأنني سأرفع قضية على الشركة لأنها لم تستقبل طلبي. يسألني المدير نصف ساعة لدراسة الأمر، فأمنحه إياها مشدّداً على أهميّة عدم الرفض، وهذا ما حصل.

بعد قياس الوزن، يتطلب دفع مبلغ ثلاثمئة وخمسين دولاراً أمريكياً فأخرج ما لديّ كاملاً، فقد أجريت ذات الحساب الرياضيّ قبل مجيئي لأصل إلى هذا الرقم، أوقع باسم المرسل كما في الهوية، ثم يتقرر التغليف بطريقتهم داخل كرتونة من ورق مقوى، ملصقين طوابعهم البريديّة وشعارهم وما إلى ذلك، لتبدأ بعدها عمليّة الشحن والتنقل بين حدود الدول في الهواء.

وردني فيما بعد أن لجنة التفتيش الإيطالية قد منعت شحنة البريد من الدخول مدة، لكنّ سياسة التعامل مع الشركة اضطرتهم لإدخال كامل الكراتين بعد عدة مكالمات هاتفية بين مدير المطار وضابط الأمن وجهاز المخابرات في الدولتين ومدير الشركة، هذا الخبر كان قد وصلني أثناء تناولي للبيتزا في شارع سان كارلو، نابولي. أما قصة هروبي من الشقة 6 فلها وقتها للحديث لاحقاً.

كواليس

تضيق المدينة علينا، ومن قال إنها كبيرة فقد كذب، أما كل هذه الإحصائيات فليس فيها من الصحّة أبداً، فكيف إذا شئنا قبلةً كانت الشوارع ممتلئة، وكل طاولات المقاهي مكشوفةً، وكل العيون تترك ما ترى إلّانا، مدينةٌ توجه أصابع الاتهام وأعين الرذيلة وألسنة الشرف، مدينةٌ فيها يقوم المسؤول بهتكِ الحدود، وتمنعنا من اجتياز حدٍّ ليس حدّاً أصلاً. أذكر مرةً أنني وكاترين كنّا نمشي وحدنا ولا صوتَ غير ما يصدر منّا، ولا ضوء غير مصابيح الأعمدة التي تبعد فيما بينها مسافة سانحة للاختفاء، مسافةً تسمح بقبلةٍ اشتهيناها معاً، أمسك يدها اليسرى بيمناي ثم عندما هممنا بعد أن اقتربت شفاهنا إلى بعضها، أضيئت غرفة من العمارة التي بجانبنا ثم خرجت أصوات شجارٍ أوقفت ما بدأناه ومضينا نجرّ متعتنا غير المرادة، وهكذا لم نزل نمنّي أنفسنا بتلك القبلة اللعينة حتى جاء ذلك الاتصال من كاترين، وفيه أخبرتني أنّ مخرجاً صديقاً لها جاء من فرنسا لإنتاج فيلم اكتمل ممثلوه إلا من اثنين يمثلان دور الحبيبين، وتسألني عمّا إذا كنتُ موافقاً على هذا الأمر، لإنها قد أعطت صديقها كلمةً بموافقتي مسبقاً.

كانت مشاهدنا سلسةً في معظمها، وقد لفتنا أنظار المخرج وطاقمه جيّداً، فجاءنا مرة بعد انتهاء أحد المشاهد يقول: «إنكما تبدوان مثل عشيقين تماماً، خرجتما من التمثيل إلى الحياة الطبيعية، والآن سأطلب منكما قراءة هذا المشهد بدقةٍ، وتجهّزا مع المساعد ب، وسيكون موعد التصوير بعد ثلاثة أيام».

«ثلاثة، اثنان، واحد، المشهد رقم 70، إعادة للمرة الخامسة، آكشن»، هتف هذا ذو الصوت الجهور مشيراً إلينا أن نبدأ العمل بجدّيّة أكبر، تقترب منّي كاترين ممسكة يدي اليسرى، وتقبّلني، ثم يقطعنا المخرج بصوته «ستووووب»، ويكمل: «ما بكما؟ أريد أن يشعر كل الجمهور بالشهوةِ بعد أن يراكما، هذا ليس مجدياً، استراحة لمدة خمس دقائق ونعود».

أقول لكاترين: «إنّ خطتنا تسير كما نريد تماماً، سنخطئ مرتين أيضاً، فكيف إذا خرجنا نجد مكاناً أفضل من هذا لحبّنا، إنه التمثيل في التمثيل، والحياة يأتيها دورها لاحقاً».

فيلم

«يركض وراءه بسرعة غير مكترث لما على الأرضيّة من زجاجٍ مكسورٍ أو حجارةٍ أو قطع خشبٍ متناثرة، وأمامه آخر يهرب منه خائفاً مما يحمله الأول فأراه يتعثّر ثم يحاول الوقوف، فيقع مرة أخرى ليجثو على ركبتيه ويكمل حبواً ريثما يستطيع الوقوف مرة أخرى فيركض متلفتاً كل لحظة إلى الوراء فاحصاً المسافة التي تقلّ بينه وبين الأول. يصل الهارب إلى نهاية مغلقةٍ، فالجدار هنا ينهي رحلته إلى الأمام. يدير جسده فيرى الآخر قد توقّف مصوّباً مسدّسه عليه، يرفع يديه مستسلماً وينظر إلى يمينه ويساره وإلى الأعلى عساه يجد منفذاً يخلّصه ولا سبيلَ، يحاول كسبَ صاحب المسدّس إلى جانبه متمتماً بكلمات رقيقة آسفة نادمة، صحيح أنه قد وصل إلى نهاية الطريق، لكنّ نهاية حياته لم تحن بعدُ، وهي على بُعدِ رصاصةٍ، مسافة مترين وأجزاء من ثانية فقط».

يدي على جهاز التحكم (الريموت)، وأراقب بعينيّ حذراً مما سيحدث على شاشة التلفاز، أرى المحاصرَ وقد قذف بجسمه بأقصى ما به من قدرةٍ وراء صندوق خشبي كبيرٍ فيبدأ الآخر بإطلاق الرصاص بكثافةٍ، فأضغط على زر التوقف Pause بلا إرادةٍ منّي،

إنها يدي استقبلت خوفي مما سيحدث فأطلقت إبهامي ضاغطاً. الشاشة متوقفة عند لحظة مواجهةِ المسدّس بعيني المحاصر، إصبع على الزناد وعينان تلمعان، لكنّ ما لم آخذه بالحسبان أن الصوت لا يتوقف رغم عدم تحرّك الصورة، أسمع ارتطامات متلاحقة، وأصوات أوجاع من شخصين لا من واحد فقط، ثم لا شيء، أنتظر ربع دقيقةٍ ولا صوت أسمعه، أضغط مرة أخرى على زر التوقف لتتغيّر الشاشة، وأرى كلمة (END) وترجمتها «النهاية» على خلفية سوداء.

تصلني رسالة إلى البريد الالكتروني من الممثل الذي قام بدور المحاصرِ كالتالي: «عزيزي، شكراً لإنقاذك لي».

سينما

لا عمل لديّ اليومَ، فأختار أن أسلّي نفسي بعض الشيء، وكما اعتدتُ- وسأظلّ- وحيداً. من بين كل الخيارات التي تراءت لي، أقرر الذهاب لحضور أيّ فيلم يعرض مهما كان، الساعة الآن تشير إلى الواحدة وأربعين دقيقة، وأحتاج عشر دقائق للوصول إلى السينما، مما يتيح لي مشاهدة فيلم الساعة الثانية بعد الظهر. أدخل، وأذهب مباشرة إلى شباك التذاكر، وأطلب منه تذكرة فيلم الساعة الثانية، فيعطيني إياها ويتبعها بقوله: يبدو أنك ستحضره وحيداً، فلا أحد قد جاء حتى الآن لمشاهدته غيرك. يبدو أن اعتيادي على وحدتي له مفعول الجذب بطريقة عكسيّة. جلست قليلاً على طاولة منتظراً إشارة الدخول لمسرح العرض، ثم دخلت وأنا غير منتبهٍ لرقم المقعد، فكل المقاعد الآن لي أختار ما أريد منها لأجلس. أصعد كل الدرجات وصولاً إلى آخر صفٍ، أختار منتصفه وأنتظر بداية الفيلم.

أتخيّل لو كان هناك غيري في المكان، ربما يكون على يميني عاشقان ممسكان بأيدي بعضهما، أو وحيد مثلي على الجانب الأيسر، أو صديقات مشاكسات تعلو ضحكاتهنّ أو صراخهنّ، ثم

يقطع تخيّلي صوتُ البداية، صوت مرتفعٌ جداً، فأحتاج خمس ثوانٍ لأعتاده. أركّز في الشاشة، ثم أفرك عينيّ، أفتح فمي مشدوهاً، يبدو أن هناك خللاً فنّياً، فالعرض مقلوبٌ رأساً على عقب، أرى الوجوه في الأعلى والسقف في الأسفل، الأرض في الأعلى والسماء تحتها وهلمّ جراً.

بوجود هذا الصوت فإن أحداً لن يسمعني إذا ناديت، أقف لأخرج من مقعدي لأخبر مسؤولاً عما يحصل، أتردّد في المضيّ، فيمنعني خجلي من الاستمرار، يمسكني من كتفي ويجلسني مرة أخرى، وهنا يكون عليّ أن أبقى في المكان ساعتين كاملتين متابعاً الفيلم بالمقلوب. لكنّ جنوني يحضر دائماً، فأستغل عدمية المكان من العيون، أقف على المقعد، أنحني ثم أضع يديّ على ظهره وأرمي برجليّ إلى الحائط ورائي، هكذا أصير واقفاً على يديّ الاثنتين، وأنظر إلى الأمام بالمقلوب نسبةً لما كنتُ عليه، وبالطريقة الصحيحة التي تمكنني من متابعة الفيلم.

بعد انتهائه، أخرج من القاعة فألاحظ جلبةً خارجاً، أحد المسؤولين يصيح متأسفاً لأكثر من مئة شخصٍ بأن خللاً فنياً طرأ على شاشة العرض، وأن فيلم الموسم سيتأجل عرضه لليوم التالي. أبتسم، وألقي التحية على من قطع لي التذكرة وأمضي راقصاً رغمَ تحديقه بي، فكيف أكون بهذا الفرحِ وهو قد أدرك متأخراً أنني كنت في الداخل رغم الخلل. لكنّ ما لن يدركه أحد أن الإعلان على باب السينما تحت عنوان «فيلم الموسم»، هو نفسه الفيلم الذي شاهدته وحدي، وبنصف السعر المذكور.

مستقبل

لم يكن هذا اليوم جيّداً، فكل ما بعته كان خمسة أغلفة للهويّات، وحبتين شوكولا، وثلاثَ عشرة علبةً من العلكةِ فقط. أضع ما بقي من حاجيّات البسطة في حقيبتي السوداء، وأفكّك قطع الخشبِ ثم أضعها بجانب باب المخبز الذي سمح لي صاحبه بترك أغراضي عنده في الليل لآخذها منه صباحاً، خاصة وأنه أول من يفتح محلّه مستقبلاً رزقه.

أعودُ جارّا خيبتي، أعدّ ما جمعتُ من نقودٍ للمرة السادسة رغم تيقّني من أنني عددتها في المرة الأولى دون خطأ، أمرّ على مطعم فأشتري شطيرتين نالت من عينيّ لمعتهما، ما أدى إلى تحرّك يدي اليسرى على بطني بطريقة بلهاء، أجلس قريباً من المطعم على درجةٍ مكسورٍ طرفها ريثما أنهي الأكل.

أكمل المسير إلى الغرفة التي استأجرتها من أحدهم، إنه أكثر من أشفق عليّ ممن التقيتهم، فهو قد خصّص لي هذه الغرفة تأويني دون أجرة أدفعها له، مقابل حراستي لبيته، وهو يعلم تماماً أنني لا أقوى على السهرِ، لكنّ ما حصل أنني رفضت أن يكون مبيتي دون مقابل فطلب منّي الحراسة، فوافقت.

قبل وصولي إلى بيتيَ بكيلومتر، أنزل الحقيبة عن كتفي الأيمن جاعلاً إياها محمولة على الأيسر فقط ما يسمح لي أن أمدّ يدي بسهولة لأفتش عن المصباح الصغير الذي أستخدمه في هذا المكان لانعدام الضوء، لكنّني أتعثّر بشيء فأقع على ركبتيّ متأوّهاً إثر كشطٍ حادٍ نال منهما. تدمع عيناي، فأمسحهما بطرف الثوبِ ثم أشعل المصباح لأكشف عما تعثّرت به، فإذ هي خبطة قدمٍ لأحدهم، يبدو أنه بالخطأ أو ربما قاصداً كان قد خطا هنا قبل أن يجفّ الإسمنت تماماً فبقيت خبطته شاهدةً على تحرّكه في المكان.

فضولي يقودني لأضع قدمي في التجويفة التي صنعتها قدمه، ولدهشتي أجدها قد تطابقت تماماً مع قدمي، وكأنني أنا من كوّنتها، كأنني أنا من كنتُ هنا، لكنها في الحقيقة ليست لي. لم أنم أبداً وأنا أفكّر في كيفية حدوث هذا الأمر. أنتظر الصباح ليأتي، فأخرج مسرعاً لطرق باب المنزل الذي أمامه تلك المساحة من الإسمنت، ناوياً سؤالهم. فأؤجل الأمر لما بعد الظهر، أترك عملي وأعود إليه، أرنّ الجرس فتفتح لي سيدةٌ الباب، أسألها عما إذا كانت هذه الخبطة لأحدٍ ما من أسرتها فتقول ربّما، لكن «ربما» هذه لا تكفيني، أكشف عن «نمرة» القدم في الأسمنت فأجدها 44، فتذهب لتتأكد من أحذيتهم فتجيبني بأنها ليست لهم، ثم تشتم صاحب الخبطة لأنّه شوّه المنظر. أسألها عنه، فتجيبني أنه الوحيد الذي من الممكن أن يكون كوّنها فلا أحد غيره اشتغل هذه المساحةَ، وتدلّني بعد طلبي على مكانه.

أفتّش عنه، بعد أن تركت بسطتي عند صاحب المخبز، لأجد أن العنوان يشير إلى بيتٍ جميلٍ متقن الصنع، أطرق الباب، فيخرج

لي رجلٌ مُتعبٌ لكنّه يبتسم، وفي عينيه السوداوين لمعة حزنٍ أعرفها جيّداً، أسأله عن تلك المساحة من الإسمنت فيجيبني بأنه هو من أنجزها، أطلب منه أن أحدّق بوجهه دقيقتين، فيوافق بعد ضحكةٍ صغيرةٍ كأنه-سبحان الإله- لم يضحك قبلها. وبعد أن انتهيت، يسألني عما قمتُ به، فأجيبُ: ربّما يومَ أكبر لا أجد ما أشتري به مرآة أرى بها وجهي، ربّما أموتُ أصلاً قبلها، وأردتُ أن أرى هل سأكون حزيناً كما أنا الآن أم لا، أحبّك أيها السيّد، سأكون مثلكَ سعيداً.

فاوستو

لم تُجدِ محاولات أمن الملعب في إقناعه بالخروج من الإستاد، فقد كانت المباراة مفصليّةً، وخسر ناديه الذي يشجعه منذ أكثر من ثلاثة وسبعين عاماً، يومَ وجد أباه مشجعاً لنادي البلدة في إقليم لومبارديا الإيطالي، نادٍ تشكّل من بعض الشبّان وقتها ليشارك في التصفيات التصنيفيّة للبطولات. واليومَ ما يزال هذا النادي في الدرجة الثالثةِ بعيداً عن كل الأضواء والشهرة رغم اقترابه من الوصول إلى بصيصٍ منهما، إلا أنه وبعد مباراة الليلة لم يعد هناك أملٌ أبداً، فالخسارة كانت قاسيةً وغير متوقعةٍ لأن رئيس النادي كان قد استثمر أكثر من ربع مليون يورو في خطته للوصول إلى الدرجة الثانية على أقل تقدير.

قبل المباراة، خرج فاوستو من منزله حاملاً تذكرة المباراة والتي دفع ثمنها مقابل تخلّيه عن راتب الشهر الحالي والذي بعده، فكيف يضيع على نفسه مشاهدة مباراة العمر التي تمنّى من قبله أبوه مشاهدتها في الصف الأماميّ، مع أنه كان بالإمكان مشاهدتها مقابل ثمن زهيدٍ لو تابعها من المقاعد الخلفيّة، لكنّ الثقة كانت حاضرةً أغرته لكلّ هذه التضحية. خرج فاوستو متزيّناً بقميص

ناديه، وعلمٍ كبيرٍ ليرفعه، وبوقٍ شديد الصوت ليصرخ بكلّ ما أوتيَ من قدرةٍ للتشجيع. وصل مبكراً، ثم حيّاه رجال الأمن وبائع التذاكر في شباكه، «أهلاً سيّد فاوستو، اليوم يومنا، سننتصر»، ردّ عليهم بدوره ثم صعد إلى مقعده. مشهدٌ يتكرر كل أسبوعٍ، تحيّة معتادة إلا أنها شديدة الحماسة هذه المرة، وخاصّة أنهم كلهم يعلمون أن هذا السيد لم يفوّت أي مباراة للنادي منذ حضر أول مرةٍ، لذا فهو يعدّ المشجع الفخري للنادي، وعلى هذا اعتاد رئيس النادي إعطائه تذاكر مجانية منذ خمسة أعوامٍ ليشاهد المباريات من أرضية الملعب، إلا أنه رفض تذكرة اليوم لأنه يريد أن يشهد الانتصار كاملاً، دون أن يشعر بنقصان أحد أطراف المتعة.

المباراة، انتهت بخسارة الفريق بهدفين مقابل هدف واحدٍ، نتيجة لم تكن بالحسبان، فبقيَ بعدها جالساً مكانه محدّقاً بالكرة التي نسيها الحكم في الملعب. غادر الأمنُ، والمسؤولون، إلا أنهم تركوا أحد الأضواء مشعلة له، فهم يعلمون ما فيه من أسىً وقهرٍ هذه اللحظات. لذا ها هوَ فاوستو وحده، وسندخل إلى صوته الداخليّ لنسمع ما يفكّر فيه.

«آهٍ يا فاوستو سيئ الحظ، لماذا اختار أبي هذا الفريق الفاشل ليشجعه، لماذا عليّ أن أحزن في نهاية كل موسمٍ، خسارة جديدة تضاف إلى السجلّ، مباراة كانت باليد، إلا أن اللاعبين فرطوا بها. وعليّ الآن أن أتحمل النتيجة، يا إلهي! ما هذا الصداع؟ إنني أضيع.

حسناً، لمَ لم أفكّر بتغيير النادي، هل يستحق منّي كل هذا العناء والخسارات في تشجيعه؟ إذا كان اللاعبون أولاً ينتقلون من نادٍ لآخر، والرؤساء يتبدّلون، وطاقم التدريب يتغيّر من آونة

لأخرى، فلم أبقى؟ أنا الوحيد الذي ما إن ارتبط باسم النادي حتى انتمى إليه انتماء الميّت للتراب. سامحك الرب يا أبي، ترى ماذا سيحدث لو اخترت تشجيع فريق البلدة المجاورة، أو انتقلت إلى المدينة وشجّعت ناديها. لن آسفَ، فقد كان بإمكاني فعل هذا منذ زمنٍ».

في صباح اليوم التالي، أعلنت إدارة النادي إفلاسها، وتم حذفه من قائمة المشاركين في البطولات. وبعد شهرٍ، وأثناء تجوّل المدير الجديد للنادي في تفقده للملعب وما ينقصه، تعثروا بجثة فاوستو نائماً متشبثاً بالكرة المذكورة أعلاه. هذه يا بنيّ حكاية تمثال فاوستو العظيم أمام ملعب نادينا الذي لم يعرف طعماً للخسارة منذ عامين ونصف.

ييـنـغ يانـغ

لم أجد من يلعب ضدي في لعبة للشطرنج، وهذا طبيعيّ جداً بحكم عزلتي، فأقرّر أن ألعب ضدّ نفسي، أرتّب القطع البيضاء والسوداء في أماكنها، وأجلس على الكرسيّ الأيمن ثم أحرّك الجنديّ الأبيض مربعين للأمام، أترك اللعبة وأذهب عشر دقائق إلى المطبخ محاولاً نسيان ما فعلته في الخطوة السابقة، وأعود مجدداً لأجلس على الكرسيّ الأيسر محركاً جندياً أسود مربعين أيضاً، ثم أذهب عشر دقائق بجانب النافذة محدّقاً بأشكال الغيوم، وأعودُ. ما أقوم به في محاولاتي للنسيان هو فقط لكي لا تتأثر الحركة الجديدة بسابقتها من اللون الآخر، وهكذا سأكون خصماً لنفسي دون انحيازٍ للون أو جهةٍ أو لشخصٍ منّي أنا الثنائيّ، لعبة الشطرنج هذه، اللعبة التي لم أنهها إلا بعد يومين وسبع ساعاتٍ، انتهت بالتعادل.

مخطوطة

رنّ جرس الباب، وأعاد الضغطَ ليرنّ مرات ومراتٍ، لكنها تلكأت في الخروج لاستقباله، وبعد أن تأكدت من أنه ترك العتبة وتراجع عائداً أثناء مراقبتها له من العدسة السحريّة، ضربت بكعبها أرضية البيتِ بقوة ليسمعها، وهكذا حصل، إذ تنبّه وأدار وجهه ثم هرول إلى الباب الذي أزاحته قليلاً سامحةً له بالدخول، لكنّه رجع ليلملم أوراقاً سقطت منه في عجلته.

جلسا، ثم قالت له: هل كتبتَ قصة جديدة مبهرةً أم أنها كعادتك ستكون مثلكَ في البلاهة. تلعثم في قوله في البداية، ثم استجمع شجاعته وقال: سيّدتي، لن تنالي منّي هذه المرة، والقصّة ستنال منك. ثم سعل أربع أو خمس مراتٍ بعد نفخها لدخان سيجارتها عليه. مدّت يدها، وسألت: ما فكرتها؟ أجاب بثقة: إنها قصة تقرأ من البدايةِ إلى النهاية كما تقرأ من النهاية إلى البداية أيضاً، ما رأيك؟ غريبة، أليست كذلك؟

نظرت إليه، ابتسمت بمكر، فتحت على منتصف القصّة، وقرأت صفحتين، ثم رمت مخطوطته على وجهه وقالت: ما زلتَ كما أنتَ، لا تحسن كتابة النهاية.

جريدة

في زمنٍ آخر، في مدينةٍ بعيدة المنشأ، مرّت سام على بائع الجرائد أنطونيني، حيّته ودفعت ثمن الجريدة الأكثر انتشاراً في المدينة، ثمناً يعادل نصفَ راتبٍ كاملٍ، هذا لأن هذه الجريدة لا تحتوي أخبار اليوم الماضي، إنما يوم غد. بحثت عن مقعدٍ خالٍ في الحديقة العامة، لكنها لم تجد أياً منها كما تريد فجلست جانب عجوزٍ يشبه كثيراً بائع الجرائد، تأملت وجهه جيّداً، ولولا أنها تتيقّن تماماً أنه ما زال في زاويته التي يبيع فيها لقالت إن الذي أمامها هو أنطونيني نفسه.

أدرك العجوز تلبّكها، وخاصة أنه رأى بيدها الجريدة التي يبيعها أخوه، فسارع بقوله إنه الأخ التوأم لأنطونيني. ثم أكمل: «يا فتاة، أنا أعرفك منذ فترة لا بأس بها، لا أدري من أين تأتين بكل هذا المبلغ الذي تصرفينه على كلامٍ من الممكن حدوثه، أي من الممكن عدم حدوثه أيضاً، لكن يجب عليكِ أن تعي جيّداً أنه إذا عرفتِ ما يخبئه لكِ اليوم القادم فإنك سوف تضيعين يومين من حياتكِ، اليوم والذي بعده، وما يدريك لعل الإله له رأي آخر مخالف لما للبشر الذي يكتبون ويتوقعون» سام التي لم تتكلّم حتى الآن، ردّت عليه:

«سيّدي، أليسَ من الغريب أن كاتبي الجريدة لم يخطئوا البتة، وما يكتبونه يحصل تماماً، سواءً من أخبار للحكومة أو أحداث فنية أو رياضية؟» يمسك العجوز التوأم يد سام، ثم يأمرها بأن تنظر في عينيه، ويقول: «ما رأيك لو قلت لكِ أن هناك جماعة وراء الكواليس تخطط لما ستفعله في اليوم التالي ضمن مؤامرة يصوغونها بكامل حذافيرها ثم يمررون الكلام للكتبة فيضعونها في الجرائد؟»

سام، الشابة البريئة، هزّت رأسها محاولة عدم تصديق هذا. لم يمنح العجوز فرصة لها أن تردّ، فزاد على قوله: «لماذا لا تسألين نفسكِ عن سبب اختفاء صفحة الوفيّات في جريدة الغد، مع أنها أكثر صفحة صادقة في كل جرائد هذا العالم، أوه، ما اسمك؟». أجابت: «سام»، فأكملَ: «يا سام، الجرائد وجدت لتخبرنا كم كان يوم أمس تعيساً، صدّقيني، إن معرفة الغد تجعل الأمور أكثر تعقيداً، كأنك تمشين في طريق لا مفرّ منها، لا خروج، لا مهرب، تخيّلي أن أخبرك أنك ستفقدين أعزّ الناس لديك بعد شهرين، ماذا ستفعلين؟ لا شيء، ربّما أكثر ما يمكنك فعله هو أن تحاولي إمضاء أكبر وقت ممكن معه، لكنه ليس بوسعك إيقاف فقدانه المحتوم، لكنّ الرب رحيم أخفى ما لا يمكننا إيقافه عنّا، وما منحنا حقّ معرفته فهذا لأنه يخبرنا أنه بمقدورنا تغيير الطريق، ما عليكِ سوى النظر خطوة واحدة للوراء لتتقدمي خطوتين، وستكونين بخير. لم يعد لديّ شيء لأقوله، آمل ألا تمرّي على أنطونيني مرة أخرى، تخيّلي مع أنه يبيعها منذ عشرة أعوام، إلا أنه لا يقرأ أبداً هذه الجريدة».

وحيد

أتفقد نفسي في هذا المساء، يداي باطنهما وظاهرهما، أسفل عينيّ، ذقني، شعري الذي يتلوّن بين السواد والبنّي، فلا أرى إلا كما تراه لي أعوامي الثلاثة والعشرون، حاضراً يجهز العدّة لما هو آتٍ، متسلّحاً بما خَبِرَه من قطاره الذي مضى عابراً محطاتٍ كثيرة. حسناً، ما زلتُ شاباً، هكذا يقول لي جسدي، هكذا تقول لي الأرقام، وهكذا لا أصدّق. إنّني أشعر بالعجز، والكسل، والشيخوخة، والتعب، والوجع -أحب استخدام كلمة وجع، فهي تعبّر بشكل أعمق من كلمة ألم- إنني أشعر بكل هذه الأشياء، فكيف أقتنع بشبابي؟!

ها أنا أتفقّد شعراً لا ينتمي لعربيّتي، يقول شاعر لاتينيّ:

إذا شعرتَ بالموت مبكراً

فانظر في رأسك

ستجد شعرة بيضاء

هنا ما عليك إلا

أن تقلب ساعة عمرك الرملية

وتستعدّ

أحدّق بشعري، تجول يدي فيه كمزارع يمشط أرضه، باحثاً عن هذه الشعرة اللاتينية، أمل من محاولاتي، فأكمل تفقدي السابق، فأجد شاعرة إيطالية تقول:

عرفتُ رجلاً
لم يمرض إلا مرة واحدةً
هو الآن في الستين
قلبه أبيض منذ كان في العشرين
يوم أحبّني.

نبض

أمامي ورقة كنت قد دوّنت عليها ما سأفعله الليلة، ولأن الوقت حان لأرى ما عليّ من واجباتٍ، أمسكها وأرفعها لأقرأ، لكن ثمة شيء غريب يحدث، أسمع صوتاً كدقة طبلٍ، إنه أشبه بنبض لقلب، نبض يخرج من الورقة، أتحسس جيّداً، نعم إنني متأكدٌ من هذا، يخطر في بالي أن الورقة حيّة، أو ربما تحنّ لأصلها الشجريّ، ثم أضع الورقة جانباً، وأعزم أنه بقدوم غدٍ سأزرعها بجانب أي شجرة أجدها قريبةً من البيت.

أرجع لما كنتُ عليه، أفتح جهازي المحمول، وأمد يديّ إلى لوحة المفاتيح لكنّ صوتاً شبيهاً بالسابقِ يعود من جديد، ذات النبض، أفزع قليلاً، يبدو أنني أخطأت الحكم في ما كان من قبل، وأن الورقة ليست كما ظننت، فلو افترضت أن الورقة صادرة من كائن حي، فبمَ أفسر المعدن؟ إذَن، وبعد التدقيق كثيراً، أرجح الأمر لأن يكون الصوت منطلقاً من يدي!

أقف مذهولاً، أقصد أنني جالسٌ متوقفاً عن الحركة مذهولاً، كيف يكون لي قلبان إن كان بالإمكان أن أسمي يدي قلباً؟ فبعد أن أمعنت النظر إليها وجدتها حقاً تتحرك مثلما تتحرك عضلة

القلب انقباضاً وانبساطاً دافعةً دماً يتدفق. أستذكر ما حصل معي اليوم، ولا أجد أي لحظةٍ أو موقف مثير للاهتمام عند تصافحي مع أشخاص الرواية التي ابتدأت صباحاً وانتهت قبل قليل مع الوصول إلى الساعة الصفرية. أرجح الموضوع للتصافح، لأن اليدَ أقرب ما يمكن لليد الأخرى عند التصافح، لأن العين أيضاً تكون أقرب عند التقائها بقرينتها عند التقابل، لأن القلب يكون أقرب لصاحبه كيفما كان قريباً أو بعيداً.

هكذا، أصبحت مائلاً جداً، وأقصد ميلاناً باتزان نحو الحقيقة، فاليد مشتاقة كقلب، يملؤها فراغٌ بحجم كف، ينقصها كفٌ بحجم فراغ.

باب القيامة

يستشعر ما حوله، لا يدري مكانه أو زمانه أو ماذا يفعل، إن فطرته الآن تقوده فتدلّه على كيفية تحريك جسمه للخروج من هنا، لا يستطيع فتح عينيه، يبدأ بتحريك قدميه وكتفيه، يلمس بكفّيه أسفله، يتحسس جيّداً ثم يفلح في رفعهما قليلاً، فيبدأ بالنبشِ بأصابعه التراب حول خصره، ثم يفعل نفس الشيء بأصابع قدميه، أربعة أطراف من جسده تحفر من أسفل إلى أعلى بحثاً عن الضوء والهواء، إنه لا يعلم أين هو، ومرة أخرى فطرته تقوده، ما يزال ينقّب بالعكس، هناك مسافة صغيرة متبقية لينهي عمق التراب.

من الأعلى: سطح القبر يتحرك، هناك شيء يخرج، الابن والابنة والزوجة ينتظرون وأيديهم على وجوههم لحظ العين، يصيح الفتى الصغير: «خرجت قدمه اليسرى»، الزوجة تشهق، تكتمل الأطراف كلها، ثم يمسك الجميع بها ويشدّونها ليتكمل خروج الرأس، يستعملون جلّ قوّتهم، ثم تسجّل الساعة الرابعة وخمس وثلاثون دقيقة لحظة المولد، وقت انبعاثه وتنفسه للمرة الأولى، الأب الكهل ذو الأعوام الخمسين يدخل العالمَ من باب الموتِ، ككل الآخرين الذين يدخلون في هذا الكون المعكوس.

في العام التالي: تتزوج ابنته الوحيدة.

بعد ستة أعوام: يتخرج ابنه من الجامعة.

بعد ثلاثة عشر عاماً: يخرج أبوه من القبر.

بعد سبعة وعشرين عاماً: ينطق ابنه كلمة «بابا»

بعد ثلاثين عاماً: يموت ابنه.

بعد خمسين عاماً: يموت هوَ، يذهب أبوه وأمه إلى المستشفى ليعيدوه إلى بطن أمه، هناك سيخرج إلى العالمِ من باب الحياة، ككل الآخرين الذين يخرجون إلى هذا الكون المعكوس.

ذهب مع الريح

يمشي بخطىً واثقةٍ نحو الحافّة التي ستقذف به خارج هذا العالم، فهو من منظوره جاء إلى هنا من غير رغبةٍ، وسيخرج منه كيفما يشاء، ولا أحدَ له الحق في منعه من اتخاذ قراره. يقف منتصباً مستذكراً روتين حياته التي مرّت هكذا بلا سيرة ذاتية يمكن أن يتركها خلفه، سيختفي كما لم يكن له وجود، كما لم تكن من حاجة تستجدى منه. إنه الآن أمام المغامرة التي حلم بتجربتها، والتي كل من يخوضها لا يعود منها. يعدّ ثواني عمره، وهو المسؤول عن إطالتها أو تقصيرها، متر واحد إلى الأمام يجعل من حياته تقف بعد ثانيتين أو ثلاثٍ، متر واحد إلى الخلف يستكمل بعده خطوات عديدة، لكنّه ما جاء إلى هذا المكان ليتراجع، سيقفز بعدَ دقيقة واحدة عند الساعة العاشرة وخمس وعشرين دقيقة.

يقفز.

المخرج يطيلُ فترة سقوطه، هو بالأحرى يقوم بإيقاف الحدث، يعود بنا في مشهد بالأبيض والأسود إلى ليلة أمس، نراه قد فتح خزانة كتبه، تأمّل مطولاً في عناوينها، اختار كتاباً، وضع فيه

ورقة بيضاء كان قد خطّ فيها لا ندري حتى الآن ماذا، لكنّنا استطعنا من مقاعدنا رؤية العنوان وقد كان: «ذهب مع الريح.»

يرتطم بالأرض.

الكاميرا تدخل بيته، الخزانة تفتح بابيها بلا يدين من أحدٍ، الكتاب يفتح أوراقه بلا يدين من أحدٍ، الورقة تخرج وتفكّ نفسها بلا يدين من أحدٍ، ونقرأ: «لا تقلقوا، سأكون بخيرٍ، أنا على ثقة من هذا».

كذبت جدّتي عندما قالت: الدم لا يصير ماء

نادت على ابنتها لتملأ الدلاء من البئر في ساحة القرية. تلكأت هيماتيت في الامتثال أمام أمها لكنّ الصراخ الثالث كان كافياً لتخرج صوب الحمار المربوط في الحائط جانب البيت، جهّزت الدلاء الأربعة، شتمت طقس العزائم الذي اعتادت عليه عائلتها، ثم ركبت ما تسمّيه حصانها المسكين واتجهت نحو ساحة القرية.

هناكَ، أنزلت دلوها الأول، حتى سمعت صوت ارتطامه في الأسفل، تأكدت من أنه تعبأ، وبدأت تسحب بقوة كي لا يفلت منها الحبل، ثم كررت العملية مع الدلاء المتبقية. نظرت إلى السائل الأحمر وابتسمت قدر ما تستطيع، إنها نشوة اللون الذي تحبه أكثر. أخرجت من جعبتها كأساً صغيراً، نفخت على سطح الدم في الدلو الثاني لتبعد القشّة وغرفت كأسها ثم رفعته إلى فمها وشربت. حمّلت ما جاءت من أجله، ثم مشت والحمار يرافقها إلى البيت، تاركة وراءها مجموعة من الصبية والفتيات ينتظرون دورهم عند البئر لتعبئة ما أحضروه من الأواني دماء.

في عصر ذلك اليوم، كانت عائلتان تفترشان الأرض، تتناولان ما حضّرته أم هيماتيت من طعامٍ، وسط ضحك ومزاح وأجواء

حميمية. مدّ صديق الأب يده وسكب لنفسه كأساً ليروي ظمأه، فاستغلّ الأب هذه الفرصة ليطلق مزحته، أن هذه الكأس العاشرة التي يشربها، كأنه لم يتذوّق طعم الدم من قبل، ليردّ الصديق عليه بضحكة، ولم يزد كلاماً لأن قطرات حمراء بدأت تهطل عليهم، نظر أفراد العائلتين إلى الأعلى في حالة من الاندهاش، ثم سأل ابن الصديق الصغير: بابا، كيف يهطل الدم في الصيف؟ حدّق الأبوان ببعضهما ولم يجدا ما يقولانه، إلا أن هيباتيت تشجعت وقالت إن جدّتها لأبيها كانت قد أخبرتها أن ما يحصل أمامهم هو نبوءة عجوز جاءت إلى القرية، وعندما نظرت في عيون الأطفال الذين يلعبون في الساحة، صاحت وأخبرتهم أن الدم سيهطل في الصيف عندما يكبرون، ولم تتلقّ هيماتيت إلا زيادة من التعجّب، لكنّ أحداً لم ينكر أن وجوه العائلتين كانت مشرقة مبتهجة، وعيونهم لامعة لا ترمش.

صرخ الأب، هيييه امسح دمعك يا ولد. ألم أنبّهك ألا تبكي؟ وإن بكيت فعليك بمغالبة دمعك! إنه سائل ملعون، هذا الماء! يا ويلتاه! ثم طفق بالنشيج وصديقه يربّت على كتفه، ويسأله عما به، ليجيب بشكل متقطع: تذك، تذكرت أخي المقتول، كنت أول من، أول من رآه، كانت السكين ما تزال في، في بطنه، وحوله بركة من الماء.

عزلة ليلية

استيقظ عامل النظافة كالعادة مبكراً، كانت الساعة تشير إلى الخامسة، لكنه كان قد استيقظ قبل ساعتين، إذ وقف على شرفة منزله متسائلاً، لمن يرفرف الهواء في مثل هذا الوقت؟ الشوارع لا أحد فيها لتطرح عليه السلام، فلم ترهق نفسها، هل من زجاج هناك لتكسره؟ ربّما. حمل مكنسته وذهب إلى حيث الحي الذي تم جدولته له لتنظيفه. قرّر أن يبدأ من الشارع الرئيسي، ثم ينتقل إلى الشوارع الأقل اكتظاظاً فالأقل. المدينة، ملأى بالعمّال، وبعد قليل، ستعم الفوضى، وتصير المركبات أحجار شطرنج تتحرك في المكان.

الحي الغربي، شارع أرسطو، لا أحد إلا عامل النظافة الخمسينيّ، يلملم بقايا أكياس الأكل، وأكوام التراب، وأوراق الشجر، ثم يتوقّف مبحلقاً في الأرض، يقرمز ويركّز النظر، ثم يقف مرتعداً، يرمي مكنسته جانباً، ويتطاير ما جمعه، ويركض نحو الجنوب، حتى يصل إلى مركز الشرطة. يدقّ الباب بقوة، فيظهر له شرطيّ شبه نائم بقميصه الرسميّ وبنطاله الداخلي، يتثاءب، ولمّا

لم يسأل العامل عن سبب مجيئه، سارع الأخير بقوله: هناك دمٌ في شارع أرسطو، يبدو أن هنالك جريمة.

صحصح الشرطي، واتصل فوراً برئيسه الذي طلب منه تجهيز دوريّة والإسراع قبله إلى مكان الجريمة. بعد نصف ساعة، كان رئيس الشرطة والمفتش وآخرون يقفون متحلقين حول بقعة الدم، يتساءلون عن كيفية وجودها دون أن تظهر نقاط حولها، أو آثار جرّ للضحية، أو بقايا من ملابسه، أو أي دليل على ما حصل. كانت بقعة حمراء دائرية.

انتظر مركز الشرطة طوال اليوم أن يتصل أحد ويقدم بلاغاً عن أحد مفقود، أو عن وجود جثة في مكان ما، لكنّ شيئاً من هذا لم يحدث. تم إغلاق شارع أرسطو أيضاً، ما سبب أزمة مرورية في الشوارع المحيطة، ومع هذا، فقد بقي شرطيّان يحرسان بقعة الدم، لئلا يقربها أحد، فيزيل آخر ما تبقى أو بالأصل هو الدليل الوحيد على وجود جريمة.

في الاجتماع الذي عقد ليلاً، أثناء سهرة ثلاثية بين رئيس الشرطة والمفتش ورئيس البلدية، كان من الضروري أن يبقى الشارع مغلقاً لثلاثة أيام قادمة، وإن لم يتقدم أحد بأي بلاغ، سيكون الأمر كأنه لم يكن. في تلك الليلة، نام العامل دون أن يقلق بأن عليه الصحو مبكراً لعمله، فشارع أرسطو مغلق، وبإمكانه التأخر ساعة ونصف وينظف الشوارع الأخرى المتبقية.

صباحاً، استيقظ العامل بكامل نشاطه، نظر إلى ساعته فوجدها تشير مثلما دائماً، إلى الخامسة إلا ربعاً، نهض وجهّز نفسه للخروج، وبدلاً من أن يبدأ بالشوارع الفرعية، ارتأى أن يذهب إلى

شارع أرسطو، فقد نشأت بينه وبين المكان علاقة الأم بسرير طفلها، حتى ولو لم يكن طفلها فيه. وصل إلى البقعة الحمراء، كانت جافة، كأنها صارت جزءاً من الأسفلت. أزعجته الشمس المبكّرة، فرفع رأسه مدة دقيقة ليرى ما لم يتوقعه، كانت الإشارة الضوئية تضيء باللون الأخضر، ثم انطفأت ثم أضاءت قليلاً باللون البرتقالي. اكتشف أن اللون الأحمر غير موجود، وأن الزجاج مكسور.

في السينما

رجلٌ غير مرئي تماماً، يدخل إلى قاعة العرض في السينما دون أن يلحظه أحد، يجلس على إحدى الكراسي الفارغة، ويجهز نفسه لبدء الفيلم، لكنّه وقبل أن ينتهي العد التنازلي ما قبل العرض يلحظ فتاة وطفلاً صغيراً قادمين نحوه، فيقف باحثاً عن كرسي آخر، قبل أن تجلس عليه الفتاة أو أخوها، فيرى خلفه واحداً لا أحد عليه، لكنّه يضطر للخروج من الصف بأكمله والدخول مرة أخرى إلى الصف خلفه مباشرة ليجلس، في هذه اللحظة تماماً كان قد نسي أنه غير مرئي، وأنه كان بإمكانه القفز أقل من متر للجلوس.

الفتاة ذات الشعر الأشقر أمامه وعلى يسارها أخوها، بينما هو متوسط المكان بين شابين بدينين يحملان علبتين كبيرتين من الفوشار، يقف مرة أخرى للبحث عن كرسي جديد بعيدٍ عن أيّ كائن بشري، لكن شدة صوت انطلاق الفيلم أقعدته متيبّساً محدّقاً في كامل ذهوله بما يعرض على الشاشة.

بعد ما يقارب الساعة، انطفأت أجهزة التكييف بلا سبب معيّن، وبدأت الحرارة في القاعة بالارتفاع شيئاً فشيئاً، لكنّ الحضور بقوا في أماكنهم، حيث لم يتبقّ أكثر من ثلث ساعة للنهاية، وقد وصلت

الإثارة في الفيلم إلى ذروتها، حتى إذا ما مضت عشر دقائق، حبست الأنفاس، وكادت العيون تخرج من محاجرها، وفتحت الأفواه، وكمّم بعضها بالأكفّ، ووضع ما تبقى من الأيادي على الرؤوس، منتظرين رغم الجوّ الخانق، والعرق الذي بلّل الملابس، وفاحت رائحته، منتظرين حدوث ما يرغبون، أن ينظر الجمهور الموجود في الفيلم أو أحدهم إلى الفتى الذي يحاول القفز من أعلى منصّة المسرح الذي تعزف عليه فرقة من خارج البلاد موسيقاها الخاصة، فينقذوه من موته الموشك.

جمهور في القاعة، يتابع جمهوراً في الفيلم، وفتى على حافة الموت، يستعد للقفز، إلا أن اللحظة التي انتهى عليها الفيلم جعلت من الحاضرين في المكانين، أن يقفوا ويصفقوا طويلاً، ولم يشعروا بلهيب كفوفهم، إلا بعد أن مدّوها ليمسحوا دموعهم المنسكبة على وجوههم.

القاعة فارغة، والكراسي فرحة تنتظر إغلاق السينما، لتحضر وحدها الفيلم الذي منعتها مؤخرات الناس من مشاهدته، لكنّ كرسياً واحداً، واحداً فقط، في منتصف القاعة، كان يبكي، حتى إذا ما سُئل عن بكائه أجاب: مات رجل البلاستيك يا أصدقاء، لقد انصهر قبل أن يشهد كيف وقف الفتى عند الحافة، ثم...

صراخ في القاعة: لا تكمل الحديث، ودعنا نشاهد الحدث بأعيننا لا بقولك. صمت الكرسيّ، وضم ظهره إلى قاعدته، كقبرٍ لرجل البلاستيك، الذي كان في ما مضى، مرئياً.

جريمة

الوقت متأخر، لا مركبات تسير في الجوار، والطريق له وحده، يرفع الموسيقا ولا يلقي بالاً لما في الخارج، تاركاً الأضواء تكشف له أمامه امتداد الطريق. ينظر إلى يمينه حيث المقعد الفارغ، ويرسم في خياله جسم امرأة سمراء افتراضية تجلس معه، يلون ثوبها القصير بالأحمر، ويقص شعرها الأسود حتى كتفيها، ثم يضع عقداً فضيّاً حول رقبتها، ويغرق أخيراً في عينيها الزرقاوين، يمدّ يده إلى يدها، يرفعها، يقبّلها أو يقبّل الهواء، ثم يُسمَعُ صوت اصطدام بمركبته يجعله يستيقظ من سهوته ويتراءى له جسم يتطاير من أمام الزجاج حتى خلف المركبة، يضغط بقوة على الفرامل، ثم يقف.

تجمّد في مكانه، وتبعثرت أفكاره فيما عليه فعله، ثم بشكل آلي نزل من مركبته وسار سيراً ثقيلاً نحو الجسد الممدد المضيء نصفه، والذي كان ساكناً يحاول أن يقول شيئاً، خط دم في رأسه، وعيناه مفتوحتان على اتساعهما، ووجه بريء مبتسم. تقدّم خطوتين نحوه، ثم بحركة مفاجئة، استدار وركض نحو المركبة، شغّلها وأسرع منطلقاً بعيداً عن الجثة، باكياً ينتحب.

كان يفكر: لو أنني اتصلت بالإسعاف والشرطة، فلن يفيد

الأمر إلا مشاكل زائدة، الفتى شبه ميت، لا إنه ميت، وأنا سأرمى في السجن، بسبب سرعة غير قانونية، وقتل حتى لو كان غير متعمد، لن يغيّر اتصالي بهم الحدث، الفتى سيظل ميتاً، وأنا سأدخل في دوامة مشاكل، ما فعلته هو الصواب، سيكتشفون أمره فيما بعد، حادث دهس، لم يبلّغ عنه صاحب المركبة الذي فر هارباً. آخ يا رأسي، ليس بإمكاني دفع كفالة للخروج من السجن، ولا أحتمل البقاء طويلاً في غرفة منعزلاً، هربي حلٌّ لهذه المشكلة، سأتابع الأخبار غداً وأعرف هوية الفتى، ثم أقدم واجبي تجاه أهله بشكل غير مباشر، والمساعدة قدر إمكاني.

بعد وصوله البيت، أغلق على نفسه الأبواب والنوافذ كلها، أسدل الستائر، وأطفأ الأضواء، ولم يفلح بالهرب من عيني الفتى، كان يشعر أنهما أمامه، بالتحديق ذاته، أغلق عينيه مراراً، وحاول النوم، لكنّ النعاس فرّ منه كما هو، صحيح أنه صار بمنأى عن مكان الجريمة، وأنه صار بمأمن من الوصول إليه أو التعرف على هويته، لكنّه منذ اللحظة صار أمام المرآة، قاتلاً، وفي رقبته ضحية واحدة. صار يتخيل أعداداً أكبر من القتلى، يدهسهم واحداً تلو الأخرى، العدد صار عشرة، عشرين، وأكثر، شعر أن رأسه يتفجر، كان في مواجهة لا أحد، إلا ضميره.

في أخبار الصباح، قيل إنه تم اكتشاف جثة فتى يبلغ الخامسة عشرة من عمره تم دهسه في الساعة الواحدة ليلاً، من سكان الحي س من المدينة، وأن الفتى كان هارباً من أهله بعد شجار مع أبيه.

ذهب إلى منزل أهل الفتى، لكنه تردّد في الاقتراب منهم، كانت وجوههم جافة من أثر البكاء، ووجه الأب ذابلا حتى منتهاه،

وكان هو بصفة المجرم يقف على مقربة منهم، ثم تقدم نحو الأب، وعرف بنفسه أنه يسكن في الحي المجاور، وأنه آسف جداً لما حدث لابنه، صافحه، وحضنه، في لحظة انفجر فيها القاتل بكاء، وكان على حافة كلمة واحدة من الاعتراف، ثم طلب أن يرى الفتى في تابوته، وسمحوا له بعد أن شاهدوا حالته، ورغم أن عينيه كانتا مغمضتين، لكنه رآهما تحدقان كما في الليلة السابقة، وبعد هذا تشجع واستقر على الاعتراف أمام الشرطة، استدار كما استدار ليلاً، وانطلق بهدوء يجر نفسه، حتى إذا ما مشى قليلاً، انتبه إلى أن الأب يحرك سيارته، ثم بعد عشرين ثانية تماماً، كان فيها الأب قد أسرع بمركبته، والقاتل قد ركض إلى الأمام، قفز الأخير أمام المركبة. صورة المشهد الأخيرة: رجل ممدد على دمه الأحمر ووجهه إلى الأسفل، ثم أماله نحو الأب وظل يحدّق به محاولاً أن يقول شيئاً.

مستر كاتب

خمسمئة دولار!! هل تمزح معي؟ أجاب المدير بالنفي، وأضاف: هذا هو المبلغ المطلوب منك لتدفعه مقابل نشرنا لمادتك الأدبية أيها العجوز. أطرق الأخير، ثم سأل بصوت خفيض: أليس من المفروض أن تدفعوا لي مقابل هذه المادة؟ ضحك المدير حتى وصل صوته إلى الغرف المجاورة في المبنى، وأجاب: هذا الزمان ولّى يا رجل، أتظن نفسك همنغواي أم ماركيز؟ يكفي أننا سنعيد طباعة هذه الأوراق على جهاز حاسوب، لم يعد أحد يكتب على ورق، كان بإمكانك أن تريحنا وتريح نفسك عناء هذا اللقاء بإرسالها على بريدنا الإلكتروني، آمل ألا نتصل بك كثيراً لنفهم خطك وخرابيشك غير المقروءة، أعتقد أن وزنها يزيد عن كيلوغرام، ثم قهقه مجدداً، وتمتم: ما زال يكتب على ورق! سأجن بسبب هذا العجوز.

اتفق معه على طباعة مئتي نسخة، يحصل عليها خلال شهر، ثم عاد العجوز إلى بيته منكسراً من الداخل، لكنه أمام زوجته كان يقفز فرحاً، ويقول: شهر واحد وأصدر روايتي، شهر واحد يا عزيزتي، لقد أخبروني أنهم سينشرون الرواية في أكثر من سبع دول، ممم، أنا سأعد العشاء هذه الليلة.

في اليوم الموعود، ذهب العجوز باكراً إلى دار النشر، وجلس ينتظر استلام النسخ، ثم بعد فترة انتظار ساعتين، طُلبَ منه الدخول حيث المدير، لاحظ وجود عدد من الكتب على مكتبه، بغلاف أحمر، واسمه بخط عريض، ثم كانت الصدمة التي جعلته يموج ويصرخ قائلاً: هذا ليس العنوان الذي اخترته، لماذا غيّرته؟ لماذا؟ ضحك المدير ثم طلب من العجوز الهدوء والجلوس، وقال: يا رجل، انتهت موضة العناوين الجامدة، لن يشتري أحد روايتك ما دام عنوانها «النبراس في ليل ديجور»، انظر ما أجمل عنوانها الجديد «حب على سرير أسود»، ستكون من الأكثر مبيعاً صدّقني، وبعد محاولات عديدة فشل من خلالها العجوز في فرض نفسه، رغم إشارته إلى أنه فاز بمسابقة القلم قبل أربعين عاماً، وأنه كان ينشر في الجرائد أسبوعياً قبل أكثر من خمسة عقود، لكنه فشل وكان الحل بالقبول والخروج بخمسين نسخة له حق التصرف فيها، حيث تحتفظ دار النشر بالباقي لتوزيعها حسب ما فهم.

النسخة الأولى أهداها إلى زوجته، ثم جلس يحدق بعد وصوله إلى البيت بكمّ النسخ التي أمامه، أهدى نسختين إلى جاره وجارته، ثم حمل عشرين نسخة وذهب ليجلس في حديقة المدينة، حيث رأى فتاة في منتصف العشرينيات تطعم جروها الصغير، وبينما هي منشغلة بما تقوم به، قدّم إليها نسخة من روايته، وأضاف: أنا من كتبتها، آمل أن تنال إعجابك، ثم وزّع بعضاً من النسخ بالطريقة ذاتها على بعض الموجودين في الحديقة، حتى وصل إلى محطة القطار وانتهى من العشرين نسخة.

في اليوم التالي، أعاد السيناريو نفسه، حتى انتهت النسخ

جميعها، وجلس في المساء يحدث زوجته عن عيون الناس الفرحة حين تتلقى روايته، وعن أمله بأن تصله الكثير من كلمات الإطراء والثناء على ما كتب، كان يقول: زوجتي، إنها رواية عظيمة، أفضل ما كتبت في حياتي، لا يهمني المال الذي سأجنيه، يكفيني أن يخبرني قارئ أنه أحب ما كتبتُ.

مر نصف شهر، ولم يطرق أحد بابه ليخبره عن رأيه، ولم يجد أحداً ممن أهداهم الرواية في مكانه الذي كان، كأنهم تبخروا، حتى جاره وزوجته لم يخبراه عن رأييهما، وخجل من السؤال، حتى وصل في نهاية المطاف أن يذهب مرة أخرى إلى دار النشر ليسأل عما إذا وصلتهم آراء أم لا، وهناك اعتذرت السكرتيرة له عن عدم وجود المدير، ثم عاد منكسراً مرة أخرى إلى حضن سريره، السرير الذي ما زال قابعاً فيه صائماً إلا عن قليل، ينتظر أي طرق للباب، يخبره فيه أحدهم عن رأيه فيما كتب.

جميلة

استيقظت من نومها مثقلة بالتعب، كأن على ظهرها صخرة كبيرة، وجسمها بحاجة إلى جلسة تدليك طويلة، فقد كانت الليلة الماضية مجنونة وصاخبة، حيث اجتمع معظم أصدقائها للاحتفال بعيد ميلادها الواحد والثلاثين. تجولت في البيت، وسط فوضى مكونة من زجاجات فارغة ونصف ممتلئة، وأجساد بشرية تغط في نومها، وملابس لا تعود إليها متناثرة بشكل عشوائي، والكثير من علب الطعام الجاهز.

تنهدت وجلست على أريكة تمت إزاحتها أمام مرآة الصالون الكبيرة، نظرت إلى شكلها، شعر منكوش، وعينان منتفختان، وفستان سهرة ممزق من ناحية الكتف، ابتسمت، ثم أطلقت ضحكة خفيفة إذ استعادت مرح الليلة، وما وصل إليه حال البيت، فأمامها الكثير من العمل الآن لتعيده كما كان. وفجأة، صرخت: ماذا؟ ثم تحسست خدّها ما حول فمها، وجبينها، حيث لم تنتبه من قبل إلى تجاعيد صغيرة تختبئ في وجهها، فركت عينيها وحاولت التأكد من الأمر، ولم يختلف شيء، ظنّت أن هذه التجاعيد ستزول بعد أن تغسل وجهها، وتهدأ مدة استراحة ما بعد النوم، لكنّها ظلت مرتبكة حتى أكثر من ساعة وهي تجول في أرجاء البيت، وتنظر في كل

المرايا، علّ ما رأته يكون كابوساً، إلى أن تأكدت تماماً، أن شكلها قد اختلف عما كانت عليه، فقد عادت إلى صورها قبل الحفلة، وتبيّن لها أن هناك بعض الخطوط الصغيرة في وجهها لم تلق لها بالاً من قبل، أي أنها ليست نتيجة لنومها أو حفلتها.

دوى صوت صرخة في المكان، وأسرعت لتوقظ من بقوا نائمين، والذين من هول ما رأوا من جنونها ركضوا إلى الخارج خائفين بما عليهم من ملابس لا تغطي شيئاً منهم. بعد أن أغلقت الباب، شرعت بتحطيم كل ما أمامها من أجسام عاكسة، مرايا وكؤوس وبراويز لامعة وغيرها، ثم أغلقت الستائر، حتى انتهى البيت خالياً من أي شيء من الممكن أن ترى فيه شكلها، ثم جلست تبكي ولم تدر بعدها كيف نامت.

في اليوم التالي، غسلت وجهها استعداداً للذهاب إلى عملها ثم ربطت شعرها كما اعتادت بنجاح دون أن تراه، ركبت تاكسي، وفتحت زجاج النافذة رغم برودة الجو، وحاولت قدر ما أمكن ألا تنظر إلى المرآة الجانبية، ولا إلى زجاج السيارات المجاورة، وحتى بعد أن مشت على الرصيف تجنبت النظر إلى واجهات المحلات، وبقيت طوال الوقت مطأطئة رأسها تركز في خطوات المارة حتى لا تسبب الإحراج لنفسها بالاصطدام بأحدهم، لكنّها لم تنجح تماماً، إذ في آخر منعطف نحو مبنى شركتها، صدّها رجل بجسمه، وظلت تحدّق بعينيه بلا حرج، لم تدرك أنها ترى وجهها فيهما، لكنّها سمعت بوضوح أنه قال: أنت جميلة، لتصحو من غفلتها وتصرخ في وجهه: ألا ترى هذه التجاعيد أيها الأبله؟ ثم ركضت مبتعدة عنه، ووقفت في الداخل لتتمالك أنفاسها، ورغم أنها كانت أمام زجاج عاكس لوجهها بكامل تفاصيله، إلا أن صوتاً في عقلها كان يتكرر: أنت جميلة، أنت جميلة.

لحظة مفصلية

في اللحظة التي انفلتت الكرة من يد الحارس بعد تسديدة الخصم، وصارت تتدحرج نحو خط المرمى، ولم يكن باستطاعة أحد اللحاق بها، كان رئيس البلاد قافزاً كالمجنون أمام رئيس الدولة المجاورة الذي بدوره لو أمكنه وجّه ضربة لنظيره من شدة حنقه، ونصف الجمهور فاتحين أفواههم مستعدين لإطلاق صيحة الفوز، والنصف الآخر أيضاً مستعدين لكن للنحيب والبكاء، وعجوز بلون علم الفائز رافعاً عكازتيه ودموعه على الحافة، وطفل على كتف أبيه محدّقاً بالوجوه المتشابهة ملامحها، فراغ أسود بدلاً من فم وعينين جاحظتين، وأم ترتب الكلام في فمها لتطلق: هذا هو ابني.

لكن من بين الجميع، سواء فائزين أو خاسرين، في اللحظة التي انفلتت الكرة من يد الحارس، كان هو يسأل نفسه: في حضننا الأخير، عندما تركتُ يدي حبيبتي، لماذا لم أستدر نحوها وأمسك بها مرة أخرى؟

قابيل

في لحظة غير معبرة تماماً، تبادل الجندي على الحاجز الكلامَ مع أحد الركاب الذين كانوا في الحافلة، وأنا كنت عند النافذة؛ قال الجندي: اسمك يوسف؟ أنت أخي! قال الذي كان جانبي: هل لي أن أرى هويتك كما رأيت؟ تلكأ الجندي، ثم أعطاها له، فرأيت من مكاني ابتسامة الراكب، وسمعته يقول: نعم نعم أنت أخي.

بعدما انطلقت الحافلة، سألته عن اسم الجندي، فأجاب: قابيل.

فقلت: نعم نعم، أخونا.

رجل الثلج

ربّما يعود أحدهم ليلعب معي، مضت حتى الآن سبع عشرة دقيقة منذ أن نادت عليهم أمّهم، كنت أحبها قبل ساعات عندما ساعدت أطفالها في صنعي، لكنها في المقابل حرمتنا من إكمال اللعب وأجبرتهم على الدخول إلى البيت، تأففنا كثيراً، إلا أن محاولاتنا في البقاء لم تفلح، حسناً أعترف، محاولتي نجحت، بقيت هنا وحدي، لكن لماذا وافقت على بقائي دونهم؟ كنا نصرخ جميعاً فلماذا أصغت لي وحدي؟

هذا هو ماكس، إنني أراه، لقد مرّ من أمام النافذة، يبدو أنه ذاهب إلى غرفته لينام، لقد أصبت، ها هي الغرفة تضيء الآن، يقفز على سريره كالمجنون، صحيح أنه كسر يدي، لكنّه كان لطيفاً، فقد أصلحها فوراً، أمه تدخل عنده، تقترب منه، ثم تغطيه، وتخرج.

الضوء ينطفئ.

شخص ما يفتح الباب، لون برتقالي يحيط به، هناك، هناك من يطل برأسه، تراه جون؟ لا هذا الشخص أطول. إنها الأم، تنظر يميناً ويساراً، تحدّق بي، تطيل النظر، لو أستطيع أن أفرك عينيّ لأتأكد من أنها تقترب، لست بحاجة إلى هذا، لقد صارت أكبر، إنها على

بعد مترين، متر واحد، إنها أمامي، تلبسني معطفاً واسعاً، تضع شفتيها على يمين وجهي، وتحيطني بيديها، إنني أتصبب عرقاً، ثم تقف وتتلفت حولها، تسرع بالرجوع إلى البيت، لقد صرت وحيداً مجدداً.

الباب يغلق.

أنا رجل الثلج، لا اسم لي، لقد عشت طويلاً، أبلغ الآن الساعة الثالثة والعشرين، عيد ميلادي بعد ساعة واحدة، وعلى ما يبدو أنني سأحتفل به وحدي. كُسرت يدي، واعوجّت قدمي، وفمي صار غير متّسق، لكن هذا كله لا يهم، لم أكن وحيداً فيما سبق، كنت أسعد رجل ثلج في هذا العالم حتى مغادرتهم المكان، منذ تلك اللحظة، ولأول مرة في حياتي، أحس بالبرد.

أنا رجل الثلج، عمري يوم، لي أمنية واحدة فقط، أن أحتضن «ماما» مرة ثانية.

في ظهيرة اليوم التالي، الأم تعصر معطفاً بين يديها، وتبكي.

لا ضوء

إنني أتعوذ كل صباحٍ سبع مـراتٍ يا رجل، أكره لحظة الاستيقاظ، أخشى أن أفتحَ عينيّ فلا أرى ما حولي، فتصير كل الأشياء سوداء، أن أتحسس موضع الطاولة جانبي فلا أراها، أعلم أن السقف أبيض لكنني لا أدركه، أن أعيش ما تبقّى من حياتي أعمىً، لا أخاف من النوم، لكنّ ما أرتعد منه هو وقت الصحو، أشدّ على عينيّ، وأفتحهما بكل قوةٍ ثم..، ثم أحمد الله، فتنجلي مخاوفي، أو تتأجل مقدار يوم واحد. لم أخبرك من قبل، لقد بدأ هذا الأمر معي منذ اليوم الذي نجوت فيه من القصف العشوائي، يوم هربت من الموت. دخلتُ بيتاً لا أعرف لمن، لقد كان المكان شبه معتم، لاحظت من بعيد ستارة، تخيّل يا رجل، لقد كانت الصدمة أكبر حتى من دويّ المدافع، عندما أزحت الستارة، لم أجد نافذة، كان أمامي حائطٌ يسدّ كل الضوء عني!

مسابقة الكاتب الشاب 2017

أطلق برنامج الثقافة والفنون، في مؤسسة عبد المحسن القطان، مسابقة الكاتب الشاب في العام 2000. وتوفّر المسابقة جائزة أولى في مجال الرواية، والشعر، والقصة القصيرة، إضافة إلى نشر الأعمال الأدبية الفائزة، وتلك الأعمال التي توصي لجنة التحكيم بنشرها. ويجب على المشارك أن يكون فلسطينياً أو من الجولان السوري المحتل بغض النظر عن مكان إقامته، وأن يتراوح عمره ما بين 22 و35 عاماً، شريطة أن يكون العمل الأدبي باللغة العربية، ولم يسبق نشره.

ويتمّ خلال المسابقة العمل مع لجان تحكيم مستقلة، تضم في عضويّتها نخبة من الأدباء والكتاب العرب، حيث كرّست المسابقة نفسها كإحدى المبادرات الأساسية الداعمة للكتاب الشباب، وساهمت في تقديم مجموعة مميزة من هؤلاء المبدعين ونشر أعمالهم محليّاً وعربيّاً ودوليّاً.

بيان لجنة التحكيم

أحمد حسام جابر (كفر راعي - جنين)

«السيد أزرق في السينما»

تتميز هذه المجموعة باكتمال مقوماتها كفن قصصي حكائي مميز، بلغة مثقفة وحمّالة أوجه، ودخول مباشر إلى الحكاية بلا عتبات بلاغية. كما تقدم هذه المجموعة لغة متمكنة تماماً وصافية ودقيقة، ووقائع تتقافز بين الواقعي والمتخيل لتلغي الحدود بينهما. وتكشف عن مرجعيات ثقافية واسعة، وتجليات فنية تتحدث عن حواس ذكية وخبيرة تتراسل بكفاءة، لتحاور باحتراف أشكال الفنون من نحت، وتصوير، وسينما، وموسيقى.

أحمد جابر

قاصّ وكاتب فلسطيني من مواليد الأردن ويقيم في رام الله. حاصل على درجة الماجستير في هندسة الطرق والمواصلات. إصداراته: **رحلة العشرين عاماً، كأن شيئاً كان**. حصل على جائزة مسابقة الكاتب الشاب للعام 2017 - فئة القصة القصيرة التي تنظمها مؤسسة عبد المحسن القطَّان.

MR. BLUE IN THE CINEMA

السيّد أزرق في السينما

أحمد جابر

«تتميّز هذه المجموعة باكتمال مقوّماتها كفنٍّ قصصيّ حكائيّ مميّز، بلغة مثقّفةٍ وحمّالةِ أوجه، ودخول مباشر إلى الحكاية بلا عتبات بلاغيّة. كما تقدّم هذه المجموعة لغة متمكّنة تمامًا وصافيةً ودقيقة، ووقائع تتقافز بين الواقعيّ والمتخيَّل لتلغي الحدود بينهما؛ وتكشف عن مرجعيّات ثقافيّة واسعة، وتجلّيات فنيّة تتحدّث عن حواسّ ذكيّة وخبيرة تتراسل بكفاءة لتحاور باحترافٍ أشكال الفنون من نحت، وتصوير، وسينما، وموسيقى.

من بيان لجنة تحكيم مسابقة الكاتب الشاب للعام 2017.

مؤسسة عبد المحسن القطان
A M QATTAN FOUNDATION

الأهلية
الأردنّ، عمّان، وسط البلد، بناية 12، وبناية 34
ص.ب 7855 هاتف 4638688 6 00962
فاكس 4657445 6 00962 منشورات 2018
الغلاف: 95297109 7 00962